الكتاب: الجمل
المؤلف: ضامن بن شدقم المدني
الجزء:
الوفاة: ١٠٨٢
المجموعة: مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام
تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي
الطبعة:
سنة الطبع: ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م
المطبعة: محمد
الناشر: المحقق
ردمك:
ملاحظات:

وقعة الجمل
تأليف
ضامن بن شدقم بن علي الحسيني المدني
متوفي بعد ١٠٨٢ ه
تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي

وقعة الجمل

(٢)

وقعة الجمل
تأليف
ضامن بن شدقم بن علي الحسيني المدني
متوفي بعد ١٠٨٢ ه
تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
الكتاب: وقعة الجمل
المؤلف: ضامن بن شدقم بن علي الحسيني المدني
تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي
الناشر: المحقق
صف الحروف والإخراج الفني: سيد كمال البطاط
الطبعة الأولى: ١٤٢٠ ه - ١٩٩٩ م
المطبعة: محمد
الكمية: ١٠٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء: إلى شهداء الحق والفضيلة..
إلى الذين سقطوا بسهام الغدر..
في معارك:
الجمل..
وصفين..
والنهروان..
أهدي جهدي المتواضع

مقدمة تمهيدية

الحمد لله ناصر الحق ومخزي الباطل، وصلى الله على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى آله الأخيار المنتجبين.

إن الفتنة التي ظهرت بالبصرة بعد بيعة الإمام علي عليه السلام بمدة قليلة كان سببها ما أحدثه طلحة والزبير من نكث بيعتهما التي بايعا بها أمير المؤمنين عليه السلام طائعين غير مكرهين، ثم خروجهما من المدينة إلى مكة يظهران العمرة، ثم اجتماعهما بعائشة التي كانت تراقب الوضع السياسي عن كثب في المدينة، ثم التحاق عمال عثمان الهاربين من الأمصار بأموال المسلمين بهما، وقد أجمعوا في اجتماعهم على الطلب بدم عثمان، فأجابهم إلى مرادهم الغوغاء الذين استهوتهم الفتنة.

وكان رأي الجماعة التوجه إلى الشام والالتحاق بمعاوية، لكن محاولة عبد الله بن كريز بن عامر، عامل عثمان الهارب من البصرة أن يغير وجهة القوم إلى البصرة، باعتباره كان عاملا لعثمان عليها، ولعثمان فيها أنصار، بعدها قرر القوم التوجه إلى البصرة بعد أن زودهم يعلى بن أمية والي عثمان على اليمن الذي هرب أيضا بأموالها والتحق بهم

بستمائة بعير وستمائة ألف درهم، وكذلك جهزهم ابن عامر بمال كثير.
لكن لنعد إلى الوراء قليلا لنرى حقيقة هؤلاء القوم الذين يحملون الضغائن في صدورهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين أخبر بهم صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضع، ففي رواية أنس بن مالك، قال: إن النبي وضع رأسه على منكبي علي فبكى، فقال له: ما يبكيك يا رسول الله؟
قال: (ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها حتى أفارق الدنيا) (١).
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم جالسا، وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، فقال لهم: (كيف بكم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتى؟ فقال الحسين عليه السلام: أنموت موتا أو نقتل؟ فقال: بل تقتل يا بني ظلما، ويقتل أخوك ظلما، وتشرد ذراريكم في الأرض،
فقال الحسين عليه السلام: ومن يقتلنا يا رسول الله؟ قال: شرار الناس) (٢) الحديث.
وعلى الرغم من هذا كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة من انتهاك كرامة أهل بيته، ويتوعد كل من يفعل بهم ذلك أن يكون مصيره النار لا محالة، ثم خص جماعة منهم بالتحذير كما فعل مع الزبير حين قال له: (إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له) (٣)، كما حذر عائشة من أن

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي) ٢: ٣٢١ - ٣٢٧.
(٢) الإرشاد ٢: ١٣.
(٣) مروج الذهب م ٢: ٣٧١.

تكون هي التي تنبحها كلاب الحوأب.
لكن كل تحذيرات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعبأ بها القوم، فكان صلى الله عليه وسلم
على يقين بأن أشرار الأمة ستمتهن كرامة أهل بيته (سلام الله عليهم)
لذا صلى الله عليه وسلم أخبر عليا عليه السلام بأنه سيكون له يوم مع أراذل الأمة، كما في
قوله صلى الله عليه وسلم لسهيل بن عمرو لطلبه على رد من أسلم من مواليهم:
(لتنتهين يا معشر قريش أو ليبعث الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله، فقال له بعض أصحابه: من يا رسول الله؟ هو فلان؟ قال: لا. قال: ففلان؟ قال: لا، ولكنه خاصف في الحجرة، فنظروا فإذا علي عليه السلام في الحجرة يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله) (١).
كما في قوله صلى الله عليه وسلم للإمام علي عليه السلام: (تقاتل يا علي على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله) (٢).
وقوله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: (تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) (٣). وقوله صلى الله عليه وسلم: (علي مع الحق والحق مع

---

(١) انظر: تذكرة الخواص: ٤٠، كشف الغمة ١: ٣٣٥، أسد الغابة ٤: ٢٦، إعلام الورى: ١٨٩، مناقب الخوارزمي: ١٢٨، مجمع الزوائد ٥: ١٨٦، فرائد السمطين ١: ١٦٢.
(٢) حلية الأولياء ١: ٦٧، مناقب ابن المغازلي: ٢٩٨، الصواعق المحرقة: ١٢٣.
(٣) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٨٠.

علي، اللهم أدر الحق مع علي حيثما دار) (١).
وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: (قاتل الله من قاتلك، وعادى من عاداك) (٢).
إذن ما حقيقة هؤلاء الذين يقاتلون أمير المؤمنين عليه السلام، وما حقيقة هؤلاء الناكثين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام بقتالهم.
نقول: النكث في اللغة، هو نكث الأكسية والغزل، قريب من النقض، واستعير لنقض العهد، قال الله تعالى: وإن نكثوا أيمانهم (٣) - إذا هم ينكثون، والنكث كالنقض، والنكيثة كالنقيضة، وكل خصلة نكث فيها القوم يقال لها نكيثة، قال الشاعر: (متى يك أمر للنكيثة أشهد) (٤).
وعلى هذا الأساس فكل من صفق على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالبيعة ثم نكث بيعته فهو مشمول بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بقتاله. ولا شك أن طلحة والزبير كانا من الذين خصهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام بكلمة (الناكثين) في صدر الحديث الأنف الذكر فأين هم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق أمير المؤمنين عليه السلام؟

---

(١) إعلام الورى: ١٥٩، تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١، المستدرك ٣: ١٢٤.
(٢) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٨١.
(٣) التوبة (٩): ١٢.
(٤) أساس البلاغة: ٤٧٢، المفردات في غريب القرآن: ٥٠٤.

وأين هم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلن للملأ: (إن وليتم عليا يسلك بكم الطريق المستقيم) (١).

لكن الرسول العظيم يرى كل هذه الأمور من وراء ستر رقيق،

ويخبر أهل بيته وعترته بما تؤول إليه أمورهم بعده صلى الله عليه وسلم، ففي رواية عن الإمام علي عليه السلام، يقول: (عهد إلي رسول الله: أن الأمة ستغدر بك) (٢)، لذلك لم يجد الإمام عليه السلام بدا من قتال القوم كما قال: (ما وجدت بدا من قتال القوم أو الكفر بما أنزل الله) (١).

بعد هذه المقدمة القصيرة، هل نطمئن إلى أن طلحة والزبير هم حقيقة من الذين بشروا بالجنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ عند العودة إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في حق أهل بيته وما تناقله الرواة على مستوى جميع المذاهب، والروايات التي جاءت مستفيضة ومتواترة وحسنة الإسناد، وكذا الروايات الكثيرة المسندة في حق من نصب العداوة والبغضاء لآله صلى الله عليه وسلم.

نجد بأن حقيقة التبشير بالجنة لا أساس لها من الصحة، وإن كان بعض فرق السنة والجماعة روجوا لهذا الحديث، وجاءوا بتأويلات باهتة حفظا لماء الوجه، فقالوا: إن ذلك من الاجتهاد، وعمل كل فريق منهم على رأيه، فكان بذلك مأجورا وعند الله تعالى مشكورا، وإن كانوا

---

(١) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي عليه السلام) ٣: ٩٠ - ٩٤.
(٢) المصدر السابق ٣: ١٤٨ - ١٦١.
(٣) المصدر السابق ٣: ٢٢٠ - ٢٢١.

قد سفكوا فيه الدماء وبذلوا فيه الأموال (١).
ونقول: فأي أجر في سفك الدماء وانتهاك المحارم، والخروج على الإمام العادل، وشق عصا المسلمين وسرقة بيوت أموالهم؟
فإذا كان الشك يداخلهم في قتال علي عليه السلام، فالحافظ ابن عساكر يخبرنا في رواية بسند عن عبيد الله بن أبي الجعد، قال: سئل جابر بن عبد الله عن قتال علي، فقال: ما يشك في قتال علي إلا كافر (٣).
وإذا سلمنا بأن حديث العشرة المبشرين في الجنة صحيح ومتفق عليه، فالإمام علي عليه السلام أحد المبشرين بالجنة، وطلحة والزبير هما أيضا من المبشرين بالجنة، فمن خلال فتنة الجمل، فيجب أن يكون أحد الطرفين المتحاربين على حق والآخر على باطل، فقتلي صاحب الحق شهداء ويدخلون الجنة، وقتلى الباطل أشقياء ويدخلون النار، فمن غير المعقول أن يكون كلا الطرفين على حق، وتهرق في سبيلهما الدماء، وإذا عرضنا الموضوع على الدين والعقل فأي منهما صاحب الحق والعدل؟ وهذا مما لا يحتاج إلى زيادة تفكير، وقد جاءت الآية الكريمة مصداقا لقوله تعالى: يوم نحشر كل أمة بإمامهم (١) فيحشر قتلى علي مع علي ويستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحشر قتلى الطرف الثاني

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٥٨.
(٢) تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي عليه السلام) ٣: ٤٢٠ - ١٤٣.
(٣) الإسراء (١٧): ٧١.

أمثال بني ضبة وغيرهم يتقدمهما طلحة والزبير، والله يعلم أي زاوية يشغلون! وهو مما يعزز قولنا كما جاء في رواية ابن المغازلي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إذنا، عن القاضي أبي الفرج أحمد بن علي، قال: حدثنا أبو غانم سهل بن إسماعيل بن بلبل، قال: حدثنا أبو القاسم الطائي، قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العباس بن بكار، عن عبد الله بن المثنى، عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أبيه، عن جده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم، لم يجز إلا من معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب) (١).

والمعروف أن طلحة والزبير وأمثالهم مزقوا هذا الكتاب وجحدوا فيه، وجعلوه خلف ظهورهم، فأنى لهم وعبور الصراط؟

طلحة والزبير يؤلبان على عثمان

من المواقف التي ساهمت في زيادة حدة التوتر ما بين موقف الثوار المتشدد الذي يطالب عثمان بإصلاحات أو بخلع نفسه، وبين عثمان الذي كان متصلبا أيضا في مواقفه تجاه مطالبهم، حتى شددوا عليه قبضة الحصار المفروض والذي دام أربعين يوما، وموقفا طلحة والزبير اللذين ساهما في الوقيعة به وأدى ذلك إلى مقتله.

يروي الشيخ المفيد (أعلا الله مقامه) أنه قال: (ولما أبى عثمان أن

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ٢٤٢، العمدة: ٣٦٩.

يخلع نفسه تولى طلحة والزبير حصاره، والناس معهما على ذلك، فحصروه حصرا شديدا، ومنعوه الماء، فأنفذ إلى علي عليه السلام يقول: إن طلحة والزبير قد قتلاني بالعطش، والموت بالسلاح أحسن. فخرج علي عليه السلام معتمدا على يد المسور بن مخرمة الزهري حتى دخل على طلحة بن عبيد الله، وهو جالس في داره يبري نبلا وعليه قميص هندي فلما رآه طلحة رحب به ووسع له على الوسادة. فقال له علي عليه السلام: (إن عثمان قد أرسل إلي أنكم قد قتلتموه عطشا وأن ذلك ليس بالحسن، والقتل بالسلاح أحسن له، وكنت آليت على نفسي أن لا أرد عنه أحدا بعد أهل مصر، وأنا أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه). فقال طلحة: لا والله لا نعمة عين له، ولا نتركه يأكل ويشرب! فقال علي عليه السلام: (ما كنت أظن أن أكلم أحدا من قريش فيردني، دع ما كنت فيه يا طلحة). فقال طلحة: ما كنت أنت يا علي في ذلك من شئ. فقام علي عليه السلام مغضبا، وقال: (ستعلم يا بن الحضرمية (١) أكون في ذلك من شئ أم لا! ثم انصرف) (٢).

وروى أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي أيضا، قال: حدثني يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: والله إني لأنظر

---

(١) الحضرمية: هي أم طلحة، وهي الصعبة بنت عبد الله بن عباد بن ربيعة بن أكبر بن مالك بن عوين بن مالك بن الخزرج بن أياد بن الصدف بن حضرموت من كندة يعرف أبوها عبد الله بالحضرمي. انظر: طبقات ابن سعد ٣: ٢١٤، الإستيعاب ٢: ٢١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٥، التمهيد والبيان: ١٥٢، العقد الفريد ٢: ٢٦٧.

إلى طلحة، وعثمان محصور، وهو على فرس أدهم، وبيده الرمح يجول حول الدار، وكأني أنظر إلى بياض ما وراء الدرع (١).

وفي رواية ابن الأثير، قال: وقد قيل أن عليا كان عند حصر عثمان بخيبر، فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة، وكان ممن له أثر فيه! فلما قدم علي أتاه عثمان، وقال له: أما بعد فإن لي حق الإسلام وحق الإخاء والقرابة والصهر، ولو لم يكن من ذلك شئ وكنا في الجاهلية، لكان عارا على بني عبد مناف أن ينتزع أخو بني تيم، يعني طلحة، أمرهم، فقال له علي: (سيأتيك الخبر)، ثم خرج إلى المسجد فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة، وهو في خلوة من الناس، فقال له: (يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟) فقال: يا أبا الحسن بعد ما مس الحزم الطبيين. فانصرف علي حتى أتى بيت المال فقال: (افتحوه) فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب وأعطى الناس، فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده، وسر بذلك عثمان، وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين أردت أمرا فحال الله بيني وبينه! فقال عثمان: والله ما جئت تائبا، ولكن جئت مغلوبا، الله حسيبك يا طلحة (٢).

وفي رواية أخرى، قال عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة: دخلت

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٤٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ١٦٧.

على عثمان فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على بابه، فمنهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع. قال: فبينما نحن واقفون إذ مر طلحة فقال: أين ابن عديس؟ فقام إليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده. فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة، اللهم اكفني طلحة فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم علي! والله إني لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه! (١)

أما موقف الزبير من قضية حصار عثمان، فهو لم يكن أفضل من صاحبه كما جاء في رواية أبي حذيفة القرشي، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد الحماني قال: أتيت الزبير، وهو عند أحجار الزيت، فقلت له: يا با عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء، فنظر نحوهم وقال: وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب (٢).

وفي رواية أبي إسحاق قال: لما اشتد بعثمان الحصار عمل بنو أمية على إخراجه ليلا إلى مكة وعرف الناس ذلك فجعلوا عليه حرسا، وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان، قال: واطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظمي من العطش فنادى: أيها

---

(١) المصدر السابق ٣: ١٧٤.

(٢) سبأ: ٣٤، ٥٤. العقد الفريد ٤: ٢٩٩، مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٤٦.

الناس! أسقونا شربة من الماء وأطعمونا مما رزقكم الله، فناداه الزبير بن العوام يا نعثل! لا والله، لا تذوقه (١).

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي، قال، قال أبو جعفر: وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا، فقال طلحة له يوما: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك معونة على مروءتك، فلما حصر عثمان، قال علي عليه السلام: (أنشدك الله إلا كففت عن عثمان!) فقال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها. فكان علي عليه السلام يقول: (لحا الله ابن الصعبة! أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل!) (٢).

بعد هذه الأحاديث الدالة على مساهمة طلحة والزبير مساهمة فعالة، حتى ضيقوا الخناق عليه، ومنعوا من دخول الماء إليه، حتى كان يستنجد عدة مرات بالإمام علي عليه السلام، فيحاول الإمام على الرغم من ممانعة طلحة إيصال الماء إلى عثمان. فيروي ابن الأثير في هذا الشأن: فقال علي لطلحة: (أريد أن تدخل عليه الروايا، وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان) (٣). حتى قتل عثمان بتحريض منهم، ثم بعدها يتظاهرون بالطلب بدمه الذي هم سفكوه، بعد مبايعتهم عليا عليه السلام، فأظهروا الندم، وأثاروا الفتنة، وجمعوا من حولهم الغوغاء، وأصحاب النفوس المريضة أمثال: مروان بن الحكم، وسعيد بن

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٤٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢: ١٦١.
(٣) الكامل في التاريخ ٣: ١٦٦.

العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبد الله بن كريز بن عامر، ويعلى بن أمية، وغيرهم من أمثالهم كثير.
فما عسانا أن نقول لقوم جاهدوا رد تلك الشبهات عن تلك الزمرة الناكثة، وما عسانا أن نقول لهم وحججهم خاوية أمام وثائق التاريخ الدامغة.
وعائشة أيضا
وأما عائشة فلها النصيب الأوفر في تأليب الناس وتحريضهم على الفتك بعثمان. قال الشيخ المفيد رحمه الله: (فهو أظهر مما وردت به الأخبار من تأليب طلحة والزبير، فمن ذلك، ما رواه محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن مشايخه، عن حكيم بن عبد الله، قال: دخلت يوما بالمدينة المسجد، فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول: أيها الناس! العهد قريب، هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه، كأني أرى ذلك القميص يلوح وأن فيكم فرعون هذه الأمة، فإذا هي عائشة، وعثمان يقول لها: اسكتي! ثم يقول للناس: إنها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها) (١).
وروى الحسن بن سعد قال: (رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودين من وراء حجلتها، وعثمان قائم، ثم قالت: يا عثمان أقم ما

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٤٧.

في هذا الكتاب، فقال: لتنتهن عما أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار! فقالت له عائشة: أما والله، لئن فلعت ذلك بنساء النبي صلى الله عليه وآله ليلعنك الله ورسوله! وهذا قميص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعثل (١)!

وروى ليث بن أبي سليم، عن ثابت الأنصاري، عن ابن أبي عامر مولى الأنصار، قال: كنت في المسجد فمر عثمان فنادته عائشة: يا غدر! يا فجر! أخفرت أمانتك، وضيعت رعيتك، ولولا الصلوات الخمس لمشى إليك الرجال حتى يذبحوك ذبح الشاة!

فقال عثمان: ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين (٢).

هذه بعض الأحاديث اقتصرنا عليها في بيان موقف السيدة عائشة من مسألة الثورة على عثمان التي أدت إلى مصرعه.

لكن لماذا هذا الانقلاب المفاجئ للسيدة عائشة بعد قتل عثمان، وتولي أمير المؤمنين عليه السلام لمقاليد الخلافة؟ حتى صارت تجمع رؤوس

---

(١) انظر المصدر السابق م ١: ١٤٧.
(وكان أعداء عثمان يسمونه نعثلا، تشبيها برجل من مصر، كان طويل اللحية اسمه نعثل، وقيل النعثل: الشيخ الأحمق). انظر: النهاية ٥: ٨٠.
(٢) التحريم: ٦٦. وانظر: الفتوح م ١: ٤١٩، الإيضاح: ١٤١.

الشقاق من حولها، وتعبئ الجيوش لمخالفة الإمام وإظهار الفتنة، وتكتب الرسائل إلى بعض الشخصيات تطالبهم بنقض البيعة والالتحاق بها مع من تجمع حولها من المنافقين والأشرار تطالب بدم عثمان، وكانت قبل سماعها تولي الإمام أمير المؤمنين الخلافة فرحة مسرورة تود لو أن طلحة أو الزبير توليا هذا الأمر من بعد عثمان. يذكر أنه لما قتل عثمان بن عفان خرج النعاة إلى الآفاق، فلما وصل بعضهم إلى مكة سمعت بذلك عائشة فاستبشرت بقتله وقالت: قتلته أعماله، إنه أحرق كتاب الله، وأمات سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقتله الله، قالت: ومن بايع الناس؟ فقال لها الناعي: لم أبرح من المدينة حتى أخذ طلحة بن عبيد الله نعاجا لعثمان، وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال، ولا شك أن الناس قد بايعوه. فقالت: إيها ذا الإصبع! قد وجدوك لها كافيا وبها محسنا. ثم قالت: شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي لأتوجه إلى منزلي. فلما شد رحلها واستوت على مركبها سارت حتى بلغت سرفا (١) – موضع معروف بهذا الاسم – لقيها عبيد بن أم كلاب (٢)، فقالت له: ما الخبر؟ فقال: قتل عثمان. فقالت: قتل نعثل؟ فقال: قتل نعثل!
فقالت: خبرني عن قصته وكيف كان أمره؟ فقال: لما أحاط الناس بالدار وبه رأيت طلحة بن عبيد الله قد غلب على الأمر، واتخذ مفاتيح

---

(١) سرف: بفتح أوله وكسر ثانيه، على ستة أميال من مكة من طريق مر. معجم ما استعجم م ١: ٧٣٥.
(٢) في الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦ عبيد بن أبي سلمة، وهو ابن أم كلاب.

على بيوت الأموال والخزائن، وتهيأ ليبايع له، فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وخرجوا في طلب علي يقدمهم الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر حتى أتوا عليا عليه السلام وهو في بيت سكن فيه، فقالوا له: بايعنا على الطاعة لك، فتلكأ ساعة، فقال الأشتر: يا علي إن الناس لا يعدلون بك غيرك، فبايع قبل أن تختلف الناس، قال: وفي الجماعة طلحة والزبير فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي كلام قبل ذلك، فقال الأشتر لطلحة: قم يا طلحة فبايع، قم يا زبير فبايع، فما تنتظران؟ فقاما فبايعا وأنا أرى أيديهما على يده يصفقانها ببيعته، ثم صعد علي بن أبي طالب عليه السلام المنبر فتكلم بكلام لا أحفظه، إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد، فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم ما جرى بعدي.

فقالت: يا أخا بني بكر، أنت رأيت طلحة بايع عليا؟ فقلت: إي والله، رأيته بايعه، وما قلت إلا ما رأيت، طلحة والزبير أول من بايعه.

فقالت: إنا لله! أكره - والله - الرجل، وغصب علي بن أبي طالب أمرهم وقتل خليفة الله مظلوما! ردوا بغالي، ردوا بغالي. فرجعت إلى مكة، قال: وسرت معها فجعلت تسألني في المسير وجعلت أخبرها بما كان، فقالت لي: هذا بعدي وما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم أحد.

قلت: فإن كان بالبلاء فصاحبه الذي بويع أشد بلاء وعناء.

فقالت: يا أخا بني بكر لم أسألك غير هذا. فإذا دخلت مكة وسألك الناس: ما رد أم المؤمنين؟ فقل: القيام بدم عثمان والطلب به!
وجاءها يعلى بن منية، فقال لها: قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله. فقالت: برئت إلى الله من قاتله. فقال لها: الآن!
ثم قال لها: أظهري البراءة ثانيا من قاتله. قال: فخرجت إلى المسجد فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان (١).
لكن السيدة لم تزل مبغضة وماقتة لعلي عليه السلام منذ قصة الذين رموها بصفوان بن المعطل، وما كان منها في غزوة بني المصطلق وهجر رسول الله صلى الله عليه وآله، واستشارته في أمرها أسامة بن زيد، وذكر له

---

(١) انظر: الفتوح م ١: ٤٣٤، الشافي ٤: ٣٥٧، مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣.
قال ابن الأثير في الكامل ٣: ٢٠٦: فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه! فقال لها: ولم؟ والله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر. فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:
فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرأ * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها وما * من وفى مثل من قد غدر
إلى آخر القصيدة.

قذف القوم بصفوان، فقال له أسامة: لا تظن يا رسول الله إلا خيرا، فإن المرأة مأمونة، وصفوان عبد صالح، ثم استشار عليا عليه السلام، فقال له: (يا رسول الله صلى الله عليك، النساء كثيرة وسل بريرة خادمتها وابحث عن خبرها منها). فقال له رسول الله صلى عليه وآله: (فتول أنت يا علي تقريرها). فقطع لها علي عليه السلام عسبا من النخل وخلا بها يسألها عني (أي عن عائشة) ويتهددها ويرهبها، لا جرم أني لا أحب عليا أبدا (١).

فهذا تصريح منها ببغضها له ومقتها إياه، قال شيخنا المفيد (أعلا الله مقامه): ولم يكن ذلك منه عليه السلام إلا النصيحة لله ولرسوله واجتهاده في الرأي، ونصحه وامتثاله لأمر النبي صلى الله عليه وآله ومسارعته إلى طاعته (٢).

ومن شدة بغضها وحقدها على أمير المؤمنين عليه السلام حتى أنها لا تستطيع أن تصرح باسمه، ففي رواية عكرمة وابن عباس، وأن عكرمة خبره عن حديث حدثته عائشة في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، خرج متوكئا على رجلين من أهل بيته، أحدهما الفضل بن العباس، فقال عبد الله بن العباس لعكرمة: فلم تسم لك الآخر؟ فقال: لا والله ما سمته. فقال: أتدري من هو؟

قال: لا. قال: ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام، وما كانت والله أمنا

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٤٣٠، صحيح البخاري ٣: ١٥٥، الكشاف ٤: ٤٥٣.

(٢) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٥٧.

تذكره بخير وهي تستطيع (١).
ولم تخف أم المؤمنين فرحها وسرورها عند سماعها باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فذكر أبو الفرج الاصفهاني رواية بسند إسماعيل بن راشد قال: لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين عليه السلام تمثلت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد. فقالت:

فإن يك نائيا فلقد بغاه * غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة: العلي تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني، ثم تمثلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا * باسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم * في كل مجتمع طنين ذباب

وذكر رواية أيضا عن أبي البحتري، قال: لما أن جاء عائشة قتل علي عليه السلام سجدت (١).
وبقي هذا الحقد ملازما لها حتى بعد مصرع الإمام علي عليه السلام، ففي

---

(١) طبقات ابن سعد ٢: ٢٣١، مسند أحمد ٦: ٣٨، صحيح البخاري ١: ١٦٢، صحيح مسلم ٤: ١٣٨، المستدرك ٣: ٥٦، السنن الكبرى ١: ٣١. ومصنفات الشيخ المفيد ١: ١٥٨.
(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٥، وانظر أيضا: طبقات ابن سعد ٣: ٤٠، تاريخ الطبري ٥: ١٥٠، بحار الأنوار ٣٢: ٣٤٠.

رواية مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن، فسألتها عنه، فقالت: عبدي، فقلت: كيف سميته بعبد الرحمن؟ قالت: حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي (١)!!

رسائل طلحة والزبير والسيدة عائشة

بعد أن أحكمت الفتنة، وأظهر القوم الشقاق والخلاف على حكومة أمير المؤمنين عليه السلام الفتية، وقد حاولوا استدراج من له تأثير في الساحة السياسية، فكاتبوهم يطالبونهم باتخاذ موقف مشابه لموقفهم في نكث بيعة الإمام علي عليه السلام، والمطالبة بدم عثمان، وتحريض الناس للالتحاق بركب الشر، لكن إجاباتهم كانت طعنة في خاصرة القوم، فلقد كان أصحاب الشر يتوقعون أن يجنوا ولو شيئا يسيرا من الذين كاتبوهم، لكن الرد جاء مخيبا للآمال، وكان عنيفا وقاسيا.

كما كاتبهم من عاب عملهم الشائن، وحذرهم الولوغ في الفتنة، والسعي في شق عصا المسلمين وإهراق دمائهم.

فقد كتبت أم سلمة إلى عائشة عندما عزمت على الخروج إلى البصرة:

من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين: سلام عليك، فأني أحمد إليك الذي لا الله إلا هو، أما بعد:

---

(١) الشافي ٤: ٣٠٦، بحار الأنوار ٣٢: ٣٤١، مصنفات الشيخ المفيد م ١: ١٦٠.

فإنك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمته، قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكن عقيراك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك، علت علت! بل نهاك عن الفرطة في البلاد، أن عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الأطراف وخفض الأصوات، وخفر الأعراض، وضم الذيول، وقعر الوهازة، وما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك
ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل إلى منهل، قد وجهت سدافته وتركتك عهداه، إن بعين الله مهواك، وعلى رسوله تردين، وأقسم بالله لو سرت مسيرك هذا، ثم قيل لي: يا أم سلمة: ادخلي الفردوس، لاستحييت أن ألقى محمدا صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا قد ضربه علي. اجعلي بيتك حصنك (١)، وقاعة الستر قبرك، حتى تلقيه وأنت

---

(١) وكانت أم سلمة تطالبها بتطبيق قوله تعالى وقرن في بيوتكن، ففي تفسير روح المعاني للآلوسي، روى البزاز عن أنس: أن النساء جئن إلى رسول الله بعد نزول الآية فقلن: لقد ذهب الرجال بالفضل والجهاد، فهل لنا عمل ندرك به فضل المجاهدين؟
فقال: من قعد منكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين.
وقال السيوطي: إن سودة بنت زمعة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لم تحج بعد نزول الآية فقيل لها في ذلك، فقالت: إني حججت واعتمرت، وأمرني ربي تعالى شأنه أن أقر في بيتي حتى تخرج جنازتي.
وأخرج مسروق: أن عائشة كلما قرأت وقرن في بيوتكن تبكي حتى تبل خمارها. انظر: روح المعاني ٢٢: ٦، الدر المنثور ٥: ١٩٦.

على تلك، أطوع ما تكونين لله إذا ألزمته، وانصر ما تكونين للدين ما حللت فيه، ولو ذكرتك قولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفينه، لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة، والسلام) (١).

رد عائشة على أم سلمة

فأجابتها عائشة:

من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة:

(سلام عليك، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فما أقبلني لوعظك، وأعرفني لحق نصحك، وما أنا بعمية عن رأيك، وليس مسيري على ما تظنين، ولنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتان متناحرتان من المسلمين، فإن اقعد ففي غير حرج، وأن امض فإلى ما بد لي من الازدياد منه، والسلام) (٢).

كتاب الأشتر إلى عائشة

وكتب الأشتر من المدينة إلى عائشة، وهي بمكة:

(أما بعد: فإنك ضعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أمرك أن تقري في

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٧٧، الإمامة والسياسة ١: ٤٥، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٠، بلاغات النساء: ١٥، الاحتجاج ١: ٢٤٤، مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٢٣٦.
(يذكر شيخنا المفيد ومؤرخون آخرون أن أم سلمة دخلت على عائشة وكلمتها).

(٢) العقد الفريد ٢: ٢٧٧، الإمامة والسياسة ١: ٤٥، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٠، بلاغات النساء: ١٥، الاحتجاج ١: ٢٤٤، مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٢٣٦.

بيتك، فإن فعلت فهو خير لك، وإن أبيت إلا أن تأخذي
فسأتك، وتلقي جلبابك، وتبد للناس شعيراتك، فأقاتلك حتى أردك
إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربك) (١).
رد عائشة على الأشتر
فكتبت إليه في الجواب:
(أما بعد: فإنك أول العرب شب الفتنة، ودعا إلى الفرقة، وخالف
الأئمة، وسعر في قتل الخليفة، وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى
يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك،
وفهمت ما فيه، وسيكفينك الله، وكان من أصبح مماثلا لك في ضلالك
وغيك، إن شاء الله) (٢).
كتاب عائشة إلى زيد بن صوحان
وكتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي، إذ قدمت البصرة.
من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها
الخالص زيد بن صوحان.
(سلام عليك، أما بعد: فإن أباك كان رأسا في الجاهلية، وسيدا في
الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق، يقال: كاد أو

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ٨٠.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢: ٨٠.

لحق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان، ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر، فإذا أتاك كتابي هذا، فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فثبط الناس عن علي بن أبي طالب، وكن مكانك حتى يأتيك أمري، والسلام) (١).

رد زيد بن صوحان على عائشة

فكتب إليها زيد:

من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين:

(سلام عليك، إما بعد: فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر:

أمرك أن تقري في بيتك، وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة، فتركت ما أمرت به، وكتبت تنهينا عما أمرنا به، فأمرك عندنا غير مطاع، وكتابك غير مجاب، والسلام) (٢).

وفي رواية الطبري: كتب إليها:

من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٢٧، تاريخ الطبري ٤: ٤٧٦، رجال الكشي: ٧٦، شرح نهج البلاغة ٢: ٨١.

(٢) العقد الفريد ٢: ٢٢٧، تاريخ الطبري ٤: ٤٧٦، رجال الكشي: ٧٦، شرح نهج البلاغة ٢: ٨١.

(أما بعد: فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر، ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك).

كتاب عائشة إلى حفصة

ولما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار، كتبت إلى حفصة بنت عمر:

(أما بعد، فإنا نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار، والله داق عنقه كدق البيضة على الصفا، إنه بذي قار بمنزلة الأشقر (٢)، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر).

فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم وعدي وأعطت جواريها دفوفا وأمرتهن أن يضربن بالدفوف، ويقلن: ما الخبر ما الخبر؟ علي كالأشقر، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر.

فبلغ أم سلمة رضي الله عنها اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين عليه السلام، والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة، فبكت وقالت: أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأقع بهن. فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك، فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواريها متخفرات،

---

(١) هذا مثل يضرب لمن وقع بين شرين لا ينجو من أحدهما، وأول من قال به لقيط بن زرارة يوم جبلة، وكان على فرس له أشقر. انظر: كتاب الأمثال: ٢٦٢، وجمهرة الأمثال ٢: ١٢٧.

وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة، فلما رأت ما هن فيه من العبث والسفه، كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها، ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتا على أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل، فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل، والله من وراء حربكما، فأنكرت حفصة وأظهرت خجلا، وقالت: إنهن فعلن هذا بجهل، وفرقتهن في الحال، فانصرفن من المكان (١).

كتاب عائشة إلى أهل المدينة

روى الواقدي عن رجاله قال: لما أخرج القوم عن عثمان بن حنيف لما خافوه من أخيه سهل بن حنيف، كتبت عائشة إلى أهل المدينة:

(بسم الله الرحمن الرحيم. ومن أم المؤمنين عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وابنة الصديق إلى أهل المدينة، أما بعد، فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه، وقد قال الله عز اسمه: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق (٢) فاتقوا الله عباد الله واسمعوا وأطيعوا واعتصموا بحبل الله جميعا وعروة الحق، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمروا عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود، والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له،

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة ١٤: ١٣: الفتوح م ١: ٤٦٧، بحار الأنوار ٣٢: ٩٠.
(٢) الأنبياء ٢١: ١٨.

فإذا اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأ منهم وتشاور فأنا ندخل في صالح ما دخلوا فيه، فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا وأعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله. وكتب عبيد الله بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين) (٢).

كتاب عائشة إلى أهل اليمامة

وكتبت إلى أهل اليمامة وأهل تلك النواحي: (أما بعد، فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم وألزمكم بالإسلام، فإن الله يقول: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٣) فاعتصموا عباد الله بحبله وكونوا مع كتابه، فإن أمكم ناصحة لكم فيما تدعوكم إليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة حرمه، وابتز المسلمين أمرهم وقد أظهر الله عليه، وإن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار، وإنا أقبلنا إليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله، وأن يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضا لهم وأجمع لأمرهم، وكان ذلك لله عز وجل على المسلمين فيه الطاعة، فإما أن ندرك به حاجتنا أو نبلغ عذرا، فلما دنونا إلى البصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع وأمرهم أن يلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر وقالوا فينا المنكر،

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٢٩٩.

(٢) الحديد: ٢٣.

فأكذبهم المسلمين وأنكروا عليهم، وقالوا لعثمان بن حنيف:
ويحك! إنما تابعنا زوج النبي صلى الله عليه وآله وأم المؤمنين
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة المسلمين، فتمادى في
غيه وأقام على أمره، فلما رأى المسلمين أنه قد عصاهم ورد عليهم
أمرهم غضبوا لله عز وجل ولأم المؤمنين، ولم نشعر به حتى أظلنا في
ثلاثة آلاف من جهلة العرب وسفهائهم، وصفهم دون المسجد
بالسلاح، فالتمسنا أن يبايعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين
المسجد، فرد علينا ذلك كله، حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس
بعد الصلاة عنه، دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة،
وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس، وإنا نخاف من عثمان وأصحابه
أن يأتونا بغتة ليصيبوا منا غرة.
فلما رأى المسلمون أنهم لا يبرحون تحرزوا لأنفسهم ولم
يحرج ومن معه حتى هجموا علينا وبلغوا سدة بيتي ومعهم هاد يدلهم
عليه ليسفكوا دمي، فوجدوا نفرا على باب بيتي فردوهم عني وكان
حولي نفرا من القريشيين والأزديين يدفعونهم عني، فقتل منهم من قتل
وانهزموا فلم نعرض لبقيتهم وخلينا ابن حنيف منا عليه، وقد توجه إلى
صاحبه، وعرفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في
نصرة دين الله والغضب للخليفة المظلوم) (١).

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣١٠، ٣٠٢.

كتاب طلحة والزبير إلى كعب بن سور

ولما أجمعت عائشة وطلحة والزبير وأشياعهم على المسير إلى البصرة، قال الزبير لعبد الله بن عامر – وكان عامل عثمان على البصرة وهرب عنها حين مصير عثمان بن حنيف عامل علي عليه السلام إليها: من رجال البصرة؟

قال: ثلاثة، كلهم سيد مطاع: كعب بن سور في اليمن والمنذر بن ربيعة، والأحنف بن قيس في البصرة.

فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور:

(أما بعد، فإنك قاضي عمر بن الخطاب، وشيخ أهل البصرة وسيد أهل اليمن، وقد كنت غضبت لعثمان من الأذى، فأغضب له من القتل، والسلام) (١).

كتابهما إلى الأحنف بن قيس

وكتبا إلى الأحنف بن قيس:

(أما بعد، فإنك وافد عمر، وسيد مضر، وحليم أهل العراق، وقد بلغك مصاب عثمان، ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر، والسلام) (٢).

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٤٨.

(٢) الإمام والسياسة ١: ٤٨.

كتابهما إلى المنذر بن ربيعة
وكتبا إلى المنذر:
(أما بعد، فإن أباك كان رئيسا في الجاهلية، وسيدا في الإسلام وإنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق، يقال كاد أو لحق، وقد قتل عثمان من أنت خير منه، وغضب له من خير منك، والسلام) (١).
رد كعب بن سور على طلحة والزبير
فكتب كعب بن سور إلى طلحة والزبير:
(أما بعد، فإنا غضبنا لعثمان من الأذى، والغير باللسان، فجاء أمر الغير فيه بالسيف، فإن يك عثمان قتل ظالما فما لكما وله؟ وإن كان قتل مظلوما فغير كما أولى به، وإن كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه أشكل) (٣).

---

(١) الإمام والسياسة ١: ٤٨.
(٢) المصدر السابق ١: ٤٨.
ملاحظة: يظهر أن كعب بن سور وقع في شباك الفتنة، وغرر به حتى قتل في المعركة، فعندما طاف الإمام عليه السلام على القتلى مر به مقتولا وفي عنقه المصحف، فقال: (نحوا المصحف وضعوه في مواضع الطهارة) ثم قال: (أجلسوا إلي كعبا).
فأجلس ورأسه ينخفض إلى الأرض فقال: (يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدك ربك حقا؟!) ثم قال: (أضجعوا كعبا) فتجاوزه. انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٩٢.

رد الأحنف عليهما
وكتب الأحنف إليهما:
(أما بعد، فإنه لم يأتنا من قبلكم أمر لا نشك فيه إلا قتل عثمان، وأنتم قادمون علينا، فإن يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم، وإلا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا أيديكم ثقة، والسلام) (١).
رد المنذر بن ربيعة عليهما
وكتب المنذر إليهما:
(أما بعد، فإنه لم يلحقني بأهل الخير إلا أن أكون خيرا من أهل الشر، وإنما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس، وقد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، وبدا لكم هذا الرأي) (٢).
كتاب الصلح بين أصحاب الجمل وعثمان بن حنيف
لقد أصر الناكثون على التمادي في غيهم، حتى صار النكث والغدر سجية ملازمة لهم أينما حلوا، وشعارا يجمعون حوله الانتهازيين والسفهاء وأصحاب السوء، فهم لم يكتفوا بخيانة أمير المؤمنين عليه السلام حتى غروا بعثمان بن حنيف، وقد كان الأخيرة قد وقع اتفاقا للصلح بينهم على شروط اتفقوا عليها، منها إيقاف القتال، وأن يكون لعثمان بن

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٤٨.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ٤٨.

حنيف دار الإمارة والمسجد وبيت المال، ولطلحة والزبير وعائشة ما شاؤوا من البصرة، ولا يهاجون حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فإن أحبوا ذلك دخلوا في طاعته، وإن أحبوا أن يقاتلوا (١).

وقيل أنهم أوقفوا القتال وتصالحوا، على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة، حتى يرجع الرسول بالجواب الذي يبتغيه ابن حنيف، والذي كان من أهم بنود الصلح، وهو: هل طلحة والزبير أكرها على بيعة الإمام علي عليه السلام؟ فإذا كان الجواب (نعم) خرج ابن حنيف من البصرة وأخلاها لهما، وإن كان الجواب بالنفي خرج طلحة والزبير (١)، وأرسل كعب بن سور لهذا المهمة، وفي هذه الفترة القصيرة حاولوا كسب الوقت إلى جانبهم، بمكاتبة من له القدرة في توسيع دائرة الخلاف على الحكومة الشرعية بقيادة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومع هذا لم يصبروا على ابن حنيف كثيرا، فمزقوا كتاب الصلح، وغدروا به في ليلة مظلمة ذات رياح، فخرج طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا دار الإمارة وعثمان بن حنيف غافل عنهم، وعلى الباب السبابجة يحرسون بيوت الأموال وكانوا قوما من الزط قد استبصروا وأئتمنهم عثمان على بيت المال ودار الإمارة، فأكب عليهم القوم وأخذوهم من أربع جوانبهم ووضعوا فيهم

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦٨، العقد الفريد ٤: ٣١٣، تاريخ خليفة بن خياط: ١٨٣، نهاية الإرب ٢٠: ٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٢١٤، تاريخ الطبري ٤: ٤٦٤ - ٤٦٧، جمهرة رسائل العرب ١: ٣٢١.

السيف فقتلوا منهم أربعين رجلا صبرا! يتولى منهم ذلك الزبير خاصة، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطا وعمدوا إلى لحيته - وكان شيخا كث اللحية - فنتفوها حتى لم يبق منها شئ، وقال طلحة: عذبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد. فلما أصبحوا اجتمع الناس إليهما وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم فمنعه طلحة، فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع فنادى أهل البصرة: الله الله، يا أصحاب رسول الله، في الصلاة نخاف فوتها!
فقالت عائشة: مروا أن يصلي بالناس غيرهما.
فقال لهم يعلى بن منية: يصلي عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما حتى يتفق الناس على أمير يرضونه، فتقدم ابن الزبير وصلى بهم ذلك اليوم (١).
أما صورة كتاب الصلح فهو:
بسم الله الرحمن الرحيم
(هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معه من المؤمنين والمسلمين، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين: إن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده، وإن طلحة

---

(١) انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٢٨٣، أنساب الأشراف ١: ٢٢٧، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨١، تاريخ الطبري ٤: ٤٦٨.

والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة، ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد، ولا سوق، ولا طريق، ولا قرضة (١)، بينهم عيبة مفتوحة، حتى يرجع كعب بالخبر، فإن رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير، فالأمر أمرهما، وإن شاء عثمان حتى يلحق بطيته (٢)، وإن شاء دخل معهما، وإن رجع بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان، فإن شاء طلحة والزبير، أقاما على طاعة علي، وإن شاءا خرجا حتى يلحقا بطيتهما، والمنجون أعوان الفالج (٣) (٤).

عائشة أم المؤمنين تنبحها كلاب الحوأب

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من بعده، في إظهار الخلاف والولوج في الفتنة التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وسمى القائمين بها بالناكثين وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحادثة ضمن ذكره لكثير من أنباء الغيب الذي

أوصى الله تعالى به لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وجاء هذا التحذير في جمع من نسائه، ففي رواية عصام بن قدامة البجلي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه:

---

(١) القرضة: الموضع من النهر يستقي منه، ومن البحر محط السفن.

(٢) طيته: أي لوجهه الذي يريده.

(٣) الفالج: الظافر الفائز.

(٤) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٢١.

(ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب (١)، تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها خلق كثير، كلهم في النار، وتنجو بعد ما كادت) (٢).

وفي حديث آخر فيما قال صلى الله عليه وسلم لنسائه، ثم أردفه بتحذير شديد إلى عائشة:

(كأني بإحداكن وقد نبحتها كلاب الحوأب) ثم قال لعائشة: (إياك أن تكونيها) (٣) ومرة أخرى يصرح صلى الله عليه وسلم باسمها علنا كما جاء في رواية

علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة إني رأيتك في المنام مرتين، أرى جملا يحملك في سدافة (٤) من حرير، فأكشفها فإذا هي أنت) (٥).

وفي رواية سالم بن أبي الجعد، أنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خروج بعض نسائه فضحكت عائشة، فقال: (انظري يا حميراء لا تكونين هي) ثم التفت إلى علي فقال: (يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها) (٦).

---

(١) الأدبب: الجمل الكثير الشعر، القاموس: ١٠٩.
(٢) أعلام النبوة: ١٥٥، مناقب آل أبي طالب ٣: ١٤٩.
(٣) ورد الحديث بهامش الكامل في التاريخ ٣: ٣٦٦.
(٤) السدافة: الحجاب والستر.
(٥) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٤٣٢، بحار الأنوار ٣٢: ٢٨٥.
(٦) بحار الأنوار ٣٢: ٢٨٤.

إذن، جميع القرائن الواردة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء كانت تلويحا أو تلميحا تدل على أن المعنية بصاحبة الجمل هي عائشة.
وكانت هي أيضا تعلم علم اليقين بأنها هي التي تنبحها كلاب الحوأب!
كيف لا تعلم هي صاحبة الجمل وكثير من المسلمين يعرفون بأن لها يوما تنفر فيه مع الغادرين والناكثين؟
فعن حذيفة قال: لو أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجمتموني (١)! قالوا: سبحان الله نحن نفعل؟ قال: لو أحدثكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها شديد بأسها تقاتلكم، صدقتم؟ قالوا: سبحان الله ومن يصدق بهذا؟
قال: تأتيكم أمكم الحميراء في كتيبة يسوق بها أعلاجها من حيث يسؤكم وجوهكم (٢).
بعد هذه المقدمة الموجزة، هل يمكننا أن نصدق على أن عائشة عند مسيرها إلى البصرة، وعلمت بالموضع أنه هو الحوأب الذي أخبرها رسول الله به، استرجعت وأرادت الرجوع. كما ورد الخبر عند كثير من الرواة، فيذكر المسعودي: (وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب، فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب، عليه ناس من بني كلاب، فعوت كلابهم على الركب، فقالت عائشة: ما

---

(١) يقال وجم الشئ أي كرهه.
(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٤٠.

اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق لجملها: الحوأب، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردوني إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا حاجة لي في المسير، فقال الزبير: بالله ما هذا الحوأب، ولقد غلط فيما أخبرك به، وكان طلحة في ساقة الناس، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب، وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام) (١).

فمن يقرأ الحديث في الوهلة الأولى يعتقد أو يتصور أن عائشة المسكينة قد غرر بها، وأرادت الاصلاح بين فئتين مؤمنتين عند مسيرها إلى البصرة، وعندما بلغت الموضع الذي نبحتها كلابه، واستفسرت من سائق جملها وأعلمها أنه الحوأب تذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، فاسترجعت وصاحت ردوني، كأنها ندمت على خروجها، وأرادت العودة لولا قسم الزبير وطلحة بأن هذا ليس هو الحوأب! وأيضا لولا شهادة الخمسين علجا لصفعت الزبير وطلحة على فعلهما القبيح، ولعقرت الجمل الذي يحمل على ظهره السوء والمنكر.

لكن عائشة كانت تعلم علم اليقين أن هذه الشهادة هي شهادة زور، وهي على قناعة بأن هذا المكان هو الحوأب بعينه، وأن الجمل الذي يحملها هو الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا ما يؤيده كثير من القرائن والحجج الدامغة التي خلفتها لنا أم المؤمنين عائشة.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٦٦.

فهي ألم تترك قول الله تعالى خلف ظهرها؟ وتخرج متبرجة بين الملأ من الناس والعسكر، مخالفة لأمر الله تعالى، والله تعالى يقول في خطابه لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: وقرن في بيوتكن ولا تتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة (١).

وإذا كانت أرادت الرجوع لمجرد سماعها اسم الموضع، فما بالها لم ترجع عندما تواقف الجيشان وأطبقت حلقات الفتنة، ثم إنها لم تكتف أن تجلس في بيتها وتراقب الموقف وما ستؤول إليه الأمور، بل خرجت إلى الحرب ووقفت أمام جيش الغدر تحرض وتؤلب الناس على القتال، وتلقي عليهم الخطب الرنانة لإثارة الحماس فيهم والاستبسال في القتال لكسب هذه الجولة التاريخية، وتنهي حكومة العدل بقيادة ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم.

هل استرجعت وقررت الخروج ولو في اللحظات الحالكة التي مرت بها عندما نشب القتال، وهي ترى الناس حولها أكواما من الجثث مقطوعة الأيدي والرؤوس؟

هل كانت ستعظم ما فعلته من إباحة دماء المسلمين ويتم أطفالهم، وزعزعة الحياة الاجتماعية في البصرة.

لكن قول الإمام علي عليه السلام لها كان شافيا، وقاطعا عنها كل سبيل،

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

ففي رواية الأصبغ بن نباتة، قال: لما عقر الجمل وقف علي عليه السلام على عائشة، فقال لها: (ما حملك على ما صنعت؟) قالت: ذيت وذيت (١).
فقال: (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد ملأت أذنيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان، أما أحياؤهم فيقتلون في الفتنة، وأما أمواتهم ففي النار على ملة اليهود) (٢).
هذه عائشة أم المؤمنين صاحبة الجمل الأدبب، وقد جاءت مصداقا لقوله تعالى: التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا (٣) وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية فقال: (عائشة هي نكثت أيمانها) (٤).
وقوله تعالى: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا (٥) كما روى سالم بن مكرم عن أبيه في معنى هذه الآية الكريمة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: هي الحميراء.
وأخيرا نقف عند قول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، حيث يجلو الحيرة ويزيح اللثام عن نفسيات ونوازع هذه المرأة العجيبة، حيث جاء في صحيح البخاري بأسناده عن نافع، عن عبد الله، قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ذيت وذيت، مثل كيت وكيت.
(٢) الكافية: ٣٤ ح ٣٥.
(٣) سورة النمل ٩٢: ١٦.
(٤) رواه العياشي في تفسيره ٢: ٢٦٩ ح ٦٥.
(٥) العنكبوت: ٤١، رواه الكراجكي في كنز الفوائد ١: ٤٣٠ ح ٧.

خطيبا وأشار نحو مسكن عائشة فقال: (هنا الفتنة - ثلاثا - من حيث يطلع قرن الشيطان) (١).

حديث عائشة عن هزيمة أصحاب الجمل

لقد اصطف الطرفان في الموضع المعروف بالخريبة القريب من البصرة، ومن ثم تهيؤا للقتال، وكان أمير المؤمنين يناشدهم بالرجوع إلى العقل وحقن دماء المسلمين، لكنهم أصروا على الحرب، وكانت عائشة على ظهر جملها (عسكر) (٢) تؤلب وتحرض الناس على القتال.

وإذا كان (عسكر) في بداية الأمر عند خروج عائشة من مكة تريد البصرة متباهيا على أقرانه، حيث كلف بحمل أم المؤمنين على ظهره دون غيره، وما هذا إلا تكريم له، لكن المسكين لا يدري ما تؤول إليه عاقبة أمره، حتى وقف في ذلك اليوم العصيب وهو يوم الخميس ١٠ جمادى الثانية سنة ٣٦ ه، وكانت على ظهره أم المؤمنين عائشة والسهام تتساقط عليه كالمطر، ورمي الهودج بالنشاب والنبل حتى صار

---

(١) بحار الأنوار ٣٢: ٢٨٧.

(٢) عسكر: اسم جمل عائشة اشتراه يعلى بن منيه عامل عثمان على اليمن وقد هرب منها عند بيعة الإمام عليه السلام بالخلافة، فأتى مكة وصادف فيها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم وآخرين من بني أمية، فأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة ألف درهم، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكرا، وكان قد اشتراه بمائتي دينار. انظر: مروج الذهب ٣: ٣٦٦.

كالقنفذ (١)، لا بد أنه لعن ذلك اليوم الذي استوت فيه على ظهره عائشة، وكم كان بوده أن يقذف هذه الهودج الذي يحمل الشر بداخله إلى الجحيم ويهرب بجلده، لكنه لا يستطيع حيث بني ضبة يتسابقون على مسك زمامه، وكلما قطعت يد ماسك الزمام، أخذه رفيقه الآخر حتى تقطع يده، وهكذا أربت الأيدي التي قطعت على السبعين يدا (٢)، فأين يجد المسكين عسكر فرصة للهروب، حتى ضربه رجل على عجزه فسقط لجنبه، وفي خبر حبة القرني قال: كأني أسمع عجيج الجمل ما سمعت قط عجيجا أشد منه (٣). أما عن حديث عائشة عن هزيمة القوم، فقد روى الواقدي، عن رجاله العثمانية عن عائشة، في ذكر الحال وهزيمة القوم في الحرب وشرح الصورة ورأيها فيما كان ذلك، فقال: حدثنا محمد بن حميد، عن حميدة بنت عبيد بن رفاعة، عن أمها كبشة بنت كعب، قالت: كان أبي لقي على عثمان حزنا عظيما وبكاه ولم يمنعه من الخروج إلا أن بصره ذهب، ولم يبايع عليا ولم يقربه بغضا له ومقتا، وخرج علي عليه السلام من المدينة فلما قدمت عائشة منصرفة من البصرة

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٧٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٧٥.

(٣) مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٨٢.
وروى الواقدي، عن موسى بن عبد الله، عن الحسين بن عطية، عن أبيه، قال شهدت الجمل مع علي عليه السلام، فلقد رأيت جمل عائشة وعليه هودجها وعليه دروع الحديد، ثم لقد رأيت فيه من النبل والنشاب أمرا عظيما، ثم عقر فما سمعت كصوته شيئا قط. انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٧٧، نهاية الإرب ٢٠: ٧٧.

جاءها أبي فسلم على الباب، ثم دخل وبينها وبينه حجاب فذكرت له بعض الأمر ولم تشرحه له، فلما أمسينا بعثنا إلى عائشة واستأذنا عليها فأذنت لنا، قالت كبشة: فدخلت في نسوة من الأنصار فحدثتنا بمخرجها وأنها لا تظن الأمر يبلغ إلى ما بلغ.

ثم قالت: لقد عمل لي على هودج جملي (١)، ثم ألبس الحديد ودخلت فيه، وقمت في وسط من الناس أدعو إلى الصلح وإلى كتاب الله والسنة، فليس أحد يسمع من كلامي حرفا، وعجل من لقينا بالقتال، فرموا النبل وصرعتهم القوم فلا أدرك حتى قتل من أصحاب علي رجل أو رجلان، ثم تقارب الناس ولحم الشر فصار القوم ليس لهم همة إلا جملي، ولقد دخلت علي سهام فجرحتني - فأخرجت ذراعها وأرتنا جرحا على عضدها فبكت وأبكتنا - قالت: وجعل كلما أخذ رجل بخطام جملي قتل، حتى أخذه ابن أختي عبد الله، فصحت به وناشدته بالرحم أن يتجافاني.

فقال: يا أماه! هو الموت، يقتل الرجل - وهو عظيم الغنى عن الأصحاب - على نيته خير من أن يدرك وقد فارقته نيته.

---

(١) روى بن أبي سبرة، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أبيه، قال: جعلنا الهودج من خشب فيه مسامير الحديد، وفوقه دروع من حديد، وفوقها طيالسة من خز أخضر، وفوق ذلك أدم أحمر، وجعلنا لعائشة منه منظر العين، فما أغنى ذلك من القوم.

انظر: الأخبار الطوال: ١٤٩، الفتوح م ١: ٤٨٨، مناقب الخوارزمي: ١٨٨.

فصحت: واثكل أسماء! فقال: يا أماه! الزمي الصمت وقد لحم ما ترين! فأمسكت. وكان ممن معنا فتيان أحداث من قريش وكان لا علم لهم بالحرب ولم يشهدوا قتالا، فكانوا جزرا للقوم، فإنا لعلى ما نحن فيه وقد كان الناس كلهم حول جملي فأسكتوا ساعة، فقلت: خير أم شر؟ إن سكوتكم ضرس القتال، فإذا ابن أبي طالب أنظر إليه يباشر القتال بنفسه وأسمعه يصيح: (الجمل! الجمل!). فقلت: أراد والله قتلي، فإذا هو قد دنا منه ومعه محمد بن أبي بكر أخي ومعاذ بن عبيد الله التميمي وعمار بن ياسر فقطعوا البطان، واحتملوا الهودج فهو على أيدي الرجال يرفلون به، إذ تفرق من كان معنا فلم أحس لهم خبرا، ونادى منادي علي بن أبي طالب: (لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح، ومن طرح السلاح فهو آمن).

فرجعت إلى الناس أرواحهم فمشوا على الناس واستحيوا من السعي، فأدخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي وهو والله رجل قد قتل وأهله مستعبرون عليه، ودخل معي كل من خاف عليا ممن نصب له، وأحتمل ابن أختي عبد الله جريحا، فوالله إني لعلى ما أنا عليه وأنا أسأل ما فعل أبو محمد طلحة؟ إذ قال قائل: قتل! فقلت: ما فعل أبو سليمان؟ فقيل: قد قتل! فلقد رأيتني تلك الساعة جمدت عيناي وانقطعت من الحزن وأكثرت الاسترجاع والندامة، وذكرت من قتل فبكيت لقتلهم فنحن على ما نحن عليه، وأنا أسأل عن عبيد الله، فقيل لي: قتل فازددت هما وغما حتى كاد ينصدع قلبي، فوالله لقد بقيت

ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل فمي طعام ولا شراب، وإني عند قوم ما يقصرون في ضيافتي، وإن الخبر في منازلهم لكثير، ولكني أعالج الشبع من الطعام فما أقدر، فنعوذ بالله من الفتنة! ولقد كنت ألبت على عثمان حتى نيل منه ما نيل، فلما قتل ندمت وعلمت أن المسلمين لا يستخلفون مثله أبدا، كان والله أجلهم حلما، وأعبدهم عبادة، وأبذلهم عند النائبة، وأوصلهم للرحم.

قالت كبشة بنت كعب، فرجعت إلى أبي فقال: ما حدثتكم به عائشة؟ فأخبرته بما قالت. فقال: يرحم الله عائشة ويرحم الله أمير المؤمنين عثمان، هي كانت أشد الناس عليه، ولقد فزعت وثابت وأرادت أن تأخذ بثأره فجاء خلاف ما أرادت فرحمهما الله جميعا، ثم قال: رحم الله عمر بن الخطاب كان والله يرى هذا كله، قال يوما: إن كان يصير اختلاف فإنما يكون بينكم، وإن كان بينكم دخل عليكم ما تكرهون (١).

---

(١) انظر مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٨٧، ٣٧٩، ٣٨٠.

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو السيد ضامن ابن السيد شدقم بن زين الدين علي بن بدر الدين حسن النقيب ابن حسين الشهيد ابن علي بن شدقم بن ضامن بن محمد الحمزي الحسيني المدني، من ذرية أبي القاسم الطاهر المحدث بن يحيى النابه بن الحسن بن جعفر الحجة ابن عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

وجده بدر الدين الحسن النقيب مؤلف (زهر الرياض) سنة ٩٢٢ الذي ينقل عنه السيد ضامن في كتابه (التحفة) (٢).

ولم نعثر على سنة مولده، وأما سنة وفاته فيستفاد مما جاء في مجلة المجمع العراقي (٣)، وفي مجلة سومر العراقية (٤)، من الحديث

---

(١) أعيان الشيعة ٧: ٣٩٢.

(٢) الذريعة ٣: ٤١٩.

(٣) مجلة المجمع العراقي ٦: ٢٢٧.

(٤) مجلة سومر ١٣: ٥٠.

عن الجزء الثالث من كتابه (تحفة الأزهار) أنه كان حيا سنة ١٠٨٨ ه (١).
مكانته العلمية:
كان المصنف رحمه الله عالما فاضلا أديبا كاتبا مشهورا، قال المرحوم محسن الأمين: (والذي وجدته في مسودة الكتاب (تحفة الأزهار) هو كما ذكر: ضامن بن شدقم بن علي المعروف بين المؤلفين).
وأبوه أيضا كان عالما كما ذكر المرحوم محسن الأمين: (في كتاب يظن أنه اسمه كتاب (الأنوار) مؤلفه من أصحابنا من أهل أواسط القرن الثالث عشر، رأيته في بغداد عام ١٣٥٢ ما صورته:
السيد ضامن ابن السيد العالم السيد شدقم المدني) (٢).
وقال عنه صاحب الأعلام: ضامن بن شدقم بن علي بن حسن النقيب المدني: أديب إمامي، له علم بالأنساب. صنف (تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار) نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم (٦٥٧)، ونسخة ثانية مجلدان، في مكتبة محمد رضا كاشف الغطاء، بالنجف (٣).
وذكر هذا الكتاب صاحب الذريعة، فقال: وهو كبير في مجلدين المجلد الأول في الحسنين أوله: (الحمد لله المحسن المتفضل الكريم

---

(١) الأعلام ٣: ٢١٣.
(٢) أعيان الشيعة ٧: ٣٢.
(٣) الأعلام ٣: ٢١٣.

الوهاب، ذو الجود والنعم الجسام بغير حساب.. إني قد جمعت هذه الحديقة الفائقة الأنيقة الزاهرة المثيرة، فرتبتها على أحسن ترتيب في نسل أبي محمد الحسن).

وأول المجلد الثاني: (الحمد لله الذي لا ند له فيبارى، ولا ضد له فيجازى، ولا شريك له فيوازي.. لما من الله تعالى علي بإتمام الجلد الأول من تحفة الأزهار وزلال الأنهار، فحداني الشوق إلى إلحاق الجلد الثاني، وهو مختص بنسب أبناء أبي عبد الله الحسين السبط، ورتبته على ترتيب المجلد الأول المختص بنسب أولاد أبي محمد الحسن، والعقب في الحسين منحصر في ابنه علي الأوسط زين العابدين...

وعند ذكر جعفر الحجة كما جاء في نسبه قال: إلى عامنا هذا سنه ثمان وثمانون وألف (١).

وعن الكتاب قال السيد محسن الأمين: وفي النسخة التي رأيناها في طهران قال في بعض المواضع فيها: يقول جامعه الفقير إلى الله الغني، ضامن بن شدقم بن علي الحسيني المدني: وصلت إلى البصرة في شهر ربيع الثاني سنة ١٠٦٨ ه فاجتمعت بالسيد الشريف الحسيب النسيب عمدة السادة النجباء، وزبدة الأماثل الأطباء، أو الطبيب الحاذق، وبقية الحكماء الفائق، عبد الرضا بن شمس الدين بن علي.

وفي موضع آخر يقول: جامعه الفقير إلى الله الغني ضامن بن شدقم بن

---

(١) الأعلام ٣: ٢١٣.

علي الحسيني المدني، وصلت إلى الدورق (١) في العشر الأول من جمادى الثانية سنة ١٠٦٨ ه، وفي شهر ذي الحجة سنة ١٠٩٢ ه اجتمعت في البصرة بالسيد ناجي الخ.. وفي شهر شوال سنة ١٠٨٠ ه اجتمعت بالسيد يحيى في أصفهان الخ.. وفي جمادى الثانية سنة ١٠٨٢ ه اجتمعت في أصفهان بالسيد يعقوب الخ.. فذكروا لي أنسابهم.

ويظهر من كتابه أنه ساح وكتب في سياحته جملة من الأنساب.

ومن شعره:

سبحان من أصبحت مشيئته جارية في الورى بمقدار
في عامنا أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار

كان من المعاصرين للسيد زين العابدين بن نور الدين بن علي بن الحسين الموسوي – يروي السيد عبد الرضا بن شمس الدين بن علي الحسيني نزيل البصرة، من العلماء الأجلة في عصره، ويظهر أنه من تلاميذ البهائي، والسيد الداماد (٢).

---

(١) الدورق: بفتح أوله، وسكون ثانيه، بلد بخوزستان، وهو قصبة كورة سرق يقال لها: دورق الفرس، فيها آثار قديمة لقباذ بن دارا، وقد نسب إليها قوم من الرواة، منهم: أبو عقيل الدورقي الأزدي التاجي، واسمه بشير بن عقبة، سمع الحسن وقتادة وغيرها. وقد نسب قوم إلى لبس القلانس الدورقية منهم: أحمد بن إبراهيم بن زيد الدورقي، وقيل إن الإنسان إذا نسك في ذلك الوقت قيل له: دورقي.
نظر: معجم البلدان ٢: ٤٨٣.

(٢) أعيان الشيعة ٧: ٣٩٢.

التعريف بالكتاب
لقد صنف السيد ضامن كتابه هذا عن أحداث فتنة البصرة التي اشعل فتيلها الزمرة الناكثة عند تولي أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافة بعد مقتل عثمان، وسماه ب (وقعة الجمل)، ودون المصنف رحمه الله الأحداث والوقائع التي شهدتها مدينة البصرة بعد انحياز رموز الشر إليها، تدعو الناس إلى نكث بيعة الإمام علي عليه السلام، وتعد العدة من الرجال والسلاح لقتاله والقضاء على حكومته الفتية.
لقد جاء هذا الكتاب وإن كان مختصرا، إلا أنه كان غزيرا في مادته التي لا يستغني عنها الباحث عن الحقيقة في بطون الكتب القديمة، والتي حفظت لنا التاريخ.
نسخة الكتاب ومنهج التحقيق:
لقد تمت مقابلة النسخة الخطية التي حصلت عليها من (مركز إحياء الميراث الإسلامي) والتي جعلتها كأصل مع المصادر التي دونت أحداث معركة الجمل من كلا الفريقين، كما أشرت إلى الاختلاف الذي وقع بين النسخة والمصادر، وقد علقت عليها في هامش الكتاب.

كما أشرت إلى بعض الوقائع والأحداث التي لم يذكرها المصنف، وأشرت إليها في الهامش أيضا، مع ترجمة بعض من ورد ذكرهم في النسخة الخطية

كما قمت بكتابة مقدمة تمهيدية لهذا السفر القيم، وذكرت بإيجاز الأسباب التي دعت الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناكثين، إلى نكث البيعة، والاستدلال بما ورد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق العترة عليهم السلام وبحق من ناصبهم العداء.

كما ذكرت رسائل الناكثين وعائشة إلى من كتبوا لهم يطالبونهم بنكث بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وتأليب الناس على حكومته، كما تطرقت إلى موقف طلحة والزبير من قضية حصار عثمان وتحريض الناس على قتله ثم بعد ذلك المطالبة بدمه.

نسأل الله تعالى أن يثيبنا على عملنا هذا، ونأمل أن يخرج هذا الكتاب بحلة جديدة ليضع بين يدي القارئ الكريم، ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق.

سيد تحسين آل شبيب الموسوي

– الصفحة الأولى من المخطوطة –

– الصفحة الثانية من المخطوطة –

– الصفحة الأخيرة من المخطوطة –

مقدمة الكتاب

في السبب الموجب لوقعة الجمل

قال الشيخ المفيد (١) رحمه الله في إرشاده (٢):

روي عن أبي ذر جندب بن عبد الله الغفاري (رضي الله عنه) قال:

دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة في زمن خلافة عثمان رضي الله عنه فرأيته مطرقا رأسه - كئيبا - فقلت له: جعلت فداك، ما أصاب قومك؟!

فقال عليه السلام: صبرا جميل والله المستعان.

---

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير، المعروف بابن المعلم لأن أباه كان معلما بواسط.
وكان من أجلاء مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، قال عنه النجاشي:
فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية. ولد سنة ٣٣٦ ه وتوفي سنة ٤١٣ ه، وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان، وضاق على الناس مع كبره، ودفن في داره سنين ثم نقل إلى مقابر قريش بالقرب من الإمامين الكاظم والجواد. انظر: النجاشي: ٣٩٩، لسان الميزان ٥: ٣٦٨، الفهرست: ٢٧٩، تاريخ بغداد ٣: ٣١.

(٢) الإرشاد ١: ٢٤١، ٢٤٢ مع بعض الاختلاف اليسير.

فقلت: والله إنك لصبور.
قال: (فماذا أصنع؟!).
قلت: قم وادع الناس إلى نفسك، وأخبرهم أنك أولاهم بالقيام وأحقهم بالأمر، لما فضلك الله تعالى عليهم وعظم شأنك فيهم، وقد سبق لك النص الصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أماكن عديدة سمعوها منه صلى الله عليه وسلم.
فإن دان لك الكل وتم لك الأمر ذلك ما كنا نبغي، وإلا فلا بد من أن يجيبك عشرة فتميل بهم على المتمردين إخوان الشياطين، فينصرك الله تعالى عليهم، لأنك على الحق وهم على الباطل، وهو قوله تعالى: ويحق الله الحق بكلمته ولو كره المجرمون (١). وقوله تعالى: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٢).
فقال عليه السلام: (أتراه يا أبا ذر؟!).
قلت: والله، إني لأرجو لك من الله ذلك.
قال عليه السلام: (إني لا أرجو من كل مائة اثنين، ألست تعلم من أين ذلك؟، إنما تنظر الناس إلى قريش، وإن قريشا تقول: إن آل محمد

---

(١) يونس ١٠: ٨٢.
(٢) البقرة ٢: ٢٤٩.

يرون لهم فضلا على سائر الناس، وإنهم أولى بالأمر من دون قريش، وإنهم إن ولوه لم يخرج عنهم هذا السلطان إلى أحد أبدا، وحتى كان في غيرهم تداولتموه بينكم، ولا - والله - لا تدفع قريش إلينا السلطان وهم خاضعون أبدا).

فقلت: أفلا تأمرني أرجع في آخر الناس بمقالتك هذه، فأقم وادعهم إليك.

قال [لي]: (يا أبا ذر، ليس هذا زمان ذلك).

قال أبو ذر رحمه الله: فمضيت إلى العراق، فكلما حدثت الناس بشئ من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه التي أوجبها الله تعالى له على عباده بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، زبروني وأهانوني، حتى إنهم رموني إلى الوليد بن عقبة فحبسني (١).

قال جدي حسن المؤلف (طاب ثراه) (٢): وفي يوم السبت ثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ من الهجرة بايعت الناس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من المهاجرين والأنصار وقوم من قريش وغيرهم، فمنهم من أظهر الوفاق وهو مصر على النفاق.

فأمر عليه السلام كاتبه عبد الله بن رافع بتقسيم ما في بيت المال على المهاجرين لكل رجل ثلاثة دنانير، ثم على الأنصار مثل ذلك، ثم من

---

(١) في الإرشاد: الوحيد بن عقبة والصواب كما في الأصل.

(٢) جده بدر الدين حسن النقيب مؤلف (زهر الرياض) سنة ٩٩٢ ه.

حضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فيما صنع به مثل ذلك.
فقال سهيل بن حنيف الأنصاري: يا أمير المؤمنين، هذا غلامي بالأمس فأعتقته اليوم (١).
فقال عليه السلام: نعطيه كما نعطيك، فأعطاه ثلاثة دنانير ولم يفضل أحدا على أحد.
وقد تخلف يومئذ عن المبايعة له عبد الله بن الزبير، وجماعة من قريش، وطلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وحسان بن ثابت، وأسامة بن زيد، وغيرهم من قريش.
فصعد عليه السلام المنبر، وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم
قال عليه السلام (٢):
(أيها الناس، إنكم بايعتموني على ما بويع (٣) عليه غيري من كان قبلي، وإنما الخيار إلى الناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم، وإن على الإمام الاستقامة (٤) وعلى الرعية الإطاعة والتسليم، وهذه بيعة عامة، فمن رغب عنه رغب عن دين الإسلام واتبع غير سبيل الهدى (٥)،

---

(١) بحار الأنوار ٣٢: ٣٨ ح ٢٤، آمالي الشيخ الطوسي ٢: ٢٩٨.
(٢) الإرشاد ١: ٢٤٣ مع بعض الاختلاف اليسير.
(٣) في النسخة الخطية: بايعتموني برضى منكم واختيار على ما بويع.
(٤) في الخطية: على الاستقامة.
(٥) في الإرشاد: أهله.

ولم تكن بيعتكم لي فلتة وليس أمري وأمركم واحدا، ألا وإني أريدكم لله عز وجل وأنتم تريدونني لأنفسكم، وأيم الله، لأنصحن (١) للخصوم، ولأنصفن للمظلوم (٢)، وقد بلغني عن (عبد الله وسعد ومروان ومحمد وحسان وأسامة) (٣) أمور كرهتها، والحق بيني وبينهم).

قال: فجلسوا جميعا، وتحدثوا نجيا، ثم جاء إليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقال: يا أبا الحسن، إنك قد وترتنا جميعا! أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا، وخذلت أخي يوم الدار.

وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور (٤) قريش.

وأما مروان فسخفت (٥) أباه عند عثمان إذ ضمه إليه (٦).

ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما قد صنعنا، وأن تقتل قتلة

---

(١) في الأصل: لانصحى وهو تصحيف، وقد أثبتناه من الإرشاد.

(٢) في الأصل: لا نطعن وهو تصحيف، والصواب كما أثبت من الإرشاد.

(٣) في الإرشاد [سعد وابن مسلمة وأسامة وعبد الله وحسان بن ثابت].

(٤) سقطت من الأصل وهكذا وردت في البحار.

(٥) في الأصل: فاستخفيت فهي لا تلائم العبارة والصواب كما في البحار.

(٦) ما ذكره المسعودي في مروج الذهب م ٢: ٣٦٢ قال: وأتاه جماعة من تخلف عن بيعته من بني أمية: منهم سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجرى بينه وبينهم خطب، وقال له الوليد: إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك، ولكنا قوم وترنا الناس، وخفنا على نفوسنا، فعذرنا فيما نقول واضح، أما إنا فقتلت أبي صبرا، وضربتني حدا، وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد: أما سعيد فقتلت أباه، واهنت مثواه، وأما مروان فإنك شتمت أباه، وعبت عثمان في ضمه إياه.

عثمان، فإنا إن خفناك تركناك والتحقنا عنك إلى غيرك.
فقال عليه السلام: (أما وتري فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم [ما أصبتم فليس علي] أنه مالي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وما قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم لقتلتهم بالأمس، ولكن لكم علي إن خفتموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيركم... فمضى الوليد إلى أصحابه وأخبرهم فتفرقوا على إظهار العداوة [وإشاعة الخلاف] (١)، وكتبوا إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام يستنهضونه في طلب دم عثمان، وأوعدوه بالقيام معه وأن يكونوا له أعوانا وأنصارا، فأجابهم إلى ذلك إلا أنه المأثور (٢) عليهم.

إخبار الإمام علي عليه السلام بنقض القوم بيعتهم

فجاء عمار بن ياسر إلى أبي الهيثم وأبي أيوب وسهيل بن حنيف وجماعة من المهاجرين والأنصار، وقال: اعلموا أن هؤلاء النفر قد بلغنا عنهم ما هو كذا وكذا من الخلاف والطعن على أمير المؤمنين عليه السلام، فقاموا وأتوا إليه، وقالوا: يا أمير المؤمنين انظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحي من قريش فأنهم قد [نقضوا بيعتهم لك وخالفوا أمرك] (٣)، وقد دعونا في السر إلى رفضك، [فهداك الله إلى مرضاته وأرشدك إلى

---

(١) أيضا سقطت من الأصل. انظر بحار الأنوار ٣٢: ١٩.
(٢) يعني المقدم عليهم.
(٣) في البحار: نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك.

عباده] (١)، وذلك لأنهم كرهوا الأسوة، وفقدوا الأثرة، لما واسيت بينهم وبين الأعاجم، أنكروا واستشاروا عدوك وعظموه، وأظهروا الطلب في دم عثمان فرقة للجماعة وتأليفا لأهل الضلالة، [فرأيك منهم سديد، ونحن معك على كل باغ عنيد] (٢).

فخرج عليه السلام ودخل المسجد مرتديا بطاق، مؤتزرا ببرد قطري، متقلدا بسيفه، متنكبا على قوسه، فصعد المنبر، وقال:

بعد أن حمد الله عز وجل وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم (أما بعد، أيها الناس، فإنا نحمد الله ربنا وإلهنا ووليا وولي النعم علينا، الذي أصبحت نعمته علينا ظاهرة، وباطنة امتنانا منه بغير قول منا ولا قوة لنشكر أم نكفر، فمن شكر زاده، ومن كفر عذبه، فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره وأعلمهم بطاعته واتبعهم لسنة [نبيه محمد رسوله] (٣) صلى الله عليه وآله، وأحياهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلا جاهل معاند عن الحق منكر للصدق، قال الله تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم.

---

(١) في البحار: هداك الله لرشدك.

(٢) لم ترد هذه العبارة في البحار.

(٣) في البحار: لسنة رسوله.

ثم إنه عليه السلام صاح بأعلى صوته: [يا أيها الذين آمنوا] (١) أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين.

ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، أتمنون على الله [ورسوله] (٢) بإسلامكم بل الله يمن عليكم إن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. ثم قال عليه السلام: أنا أبو الحسن، (وكان لا يقولها إلا إذا غضب) (٣). ثم قال: إلا أن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، فلا تغرنكم [الحياة الدنيا] (٤) فقد حذرتموها فاستتموا نعم الله بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، والذل لحكمه جل ثناؤه.

فأما هذا الفئ فليس لأحد على أحد فيه أثرة وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه).

ثم إنه عليه السلام نزل عن المنبر وصلى ركعتين (٥).

---

(١) لم ترد في البحار.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في البحار: وكان يقولها إذا غضب.
(٤) لم ترد في البحار.
(٥) بحار الأنوار ٣٢: ١٩، ٢١.

مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام للزبير وطلحة

ثم بعث عليه السلام عمار بن ياسر وعبد الرحمن بن حسل إلى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وهما في ناحية من المسجد، [فأتيا بهما] (١) فجلسا بين يديه، فقال عليه السلام لهما:

(نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟) قالا: نعم.

قال: (غير مجبورين ولا مقهورين (٢) فأسلمتما لي بيعتكما، وأعطيتماني عهدكما)؟ قالا: نعم.

قال: (فما دعاكم بعد هذا إلى ما أرى).

قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي الأمور ولا تقطعها من دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبد بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، [فرأيناك قسمت القسم وقطعت الأمر وقضيت بالحكم بغير مشاورتنا ولم تعلمنا] (٣).

فقال عليه السلام: (لقد نقمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا، فاستغفرا الله يغفر لكما.

---

(١) في البحار: فأتياهما فدعواهما فقاما.

(٢) في البحار: مقسورين.

(٣) في البحار: فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشورتنا ولا علمنا.

ألا تخبراني أدفعتكما عن حق وجب لكما علي (١) فظلمتكما (٢) إياه؟). قالا: معاذ الله!
قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشئ؟
قالا: معاذ الله.
قال: (أفوقع حكم في حق لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟)
قالا: معاذ الله.
قال: (فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟)
قالا: نعم، خلافك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القسم، لأنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله بأسيافنا ورماحنا، وقد أوجفنا عليه بخيلنا [ورجلنا وظهرت عليهم دعوتنا وأخذناه قسرا وقهرا] (٣) ممن لا يرى الإسلام إلا كرها عليه.
فقال عليه السلام: ([أما ما ذكرتما أني أحكم بغير مشورتكما] (٤) فوالله ما كان لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها فخفت أن أردكم فتختلف الأمة، فلما أفضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) لم ترد في البحار.
(٢) في الأصل: وطلبتكما.
(٣) في الأصل: وركابنا على دعوة الإسلام لا جورا ولا قهرا.
(٤) في البحار [أما ذكرتموه من الاستشارة بكما].

فأمضيت ما دلاني عليه فأتبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا أرى غيركم، ولو وقع ما ليس في كتاب الله بيانه، [ولا في سنة رسول الله برهانه] (١)، واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه.

وأما القسم والأسوة وأن ذلك [لم أحكم فيه بادئ بدءِ] (٢) وقد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به، [وهو الكتاب] (٣) (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا. فقديما سبق إلى الإسلام قوم نصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسم ولا آثرهم بالسبق والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة، وليس لكما والله عندي ولا لغير كما إلا هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر.

ثم قال عليه السلام: رحم الله امرءا رأى حقا فأعان عليه، ورأى جورا فرده وكان عونا للحق على من خالفه) (٤).

(لعل المراد قوله عليه السلام فقديما سبق إلى الإسلام يعني به نفسه، حيث

---

(١) في: البحار ولا في السنة برهانه.

(٢) في الأصل [لم أكلم فيه البادئ بدء] عبارة ركيكة وصوابه كما في البحار.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) انظر: بحار الأنوار ٣٢: ٢١، ٢٢.

لم يسبق إليه سابق ولم يلحق بأثره في جميع ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحق، فإنه عليه السلام جميع أعماله بالكتاب المجيد والسنة الواضحة.

في السبب الموجب لنكث طلحة بن عبيد الله والزبير
بن العوام لبيعتهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قال المسعودي: لما قتل عثمان بايعت الناس أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة، كتب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام:
(أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان من غير مشورة مني، وبايعوني عن
مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابي هذا فبايع لي الناس، وأوفد إلى
أشراف أهل الشام) (١).

فلم يكن منه له جواب غير أنه كتب كتابا إلى الزبير بن العوام وبعثه
مع رجل من بني عبس فمضمونه:

بسم الله الرحمن الرحيم
إلى الزبير بن العوام (٢) من معاوية بن أبي سفيان... سلام الله
عليكم أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوني إلى بيعتك
فاستوثقتهم كما استوثق الحلف (٣)، فدونك الكوفة والبصرة [لا

---

(١) نهج البلاغة ١: ٢٣٠، بحار الأنوار ٣٢: ٦.
(٢) في البحار: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين.
(٣) في الأصل: الجلب وهو تصحيف وصوابه كما في البحار.

يسبقك عليهما علي بن أبي طالب] (١) فإنه لا شئ بعد هذين المصرين وقد بايعتهم لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فعليكما (٢) بالظهور في طلب دم عثمان رضي الله عنه، فأدعوا الناس إلى ذلك بالجد والتشهير، ظفركما (٣) الله تعالى وخذل مناوئيكما.

قال جدي حسن (طاب ثراه): إن معاوية كتب إلى الزبير:

أما بعد، فإنك الزبير بن العوام ابن أخي خديجة بنت خويلد، وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحواريه وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته له بمكة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المتسلخ بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع، كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين منك، وقد سبقت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم البشارة بالجنة، ثم جعلك عمر رضي الله عنه أحد

المستخلفين على الأمة.

فانهض يا أبا عبد الله فإن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع - رحمك الله - في حقن الدماء ولم الشعث، واجمع الكلمة لصلاح ذات البين قبل تفاقم الأمور وانتشار الأمة، فقد أصبح الناس على شفا جرف هار عما قليل منهار، إن لم يرأب، فشمر لتأليف

---

(١) في البحار: لا يسبقنك لها ابن أبي طالب.

(٢) سقطت من البحار.

(٣) في البحار: أظهركما.

الأمة وابتغ إلى ربك سبيلا، فقد أحكمت لك الأمر على من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده، جعلكما الله من أئمة الهدى، وبغاة الخير والتقوى، وسلك بكما قصد المهتدين، ووهبكما رشد الموفقين والسلام (١).

مكاتبة معاوية بن أبي سفيان إلى بني أمية

وكتب إلى مروان بن الحكم:

أما بعد، فقد وصل إلي كتابك بشرح خبر قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وما ركبوه به ونالوه منه جهلا بالله وجرأة عليه، واستخفافا بحقه، [ولأماني لوح] (٢) الشيطان بها في شرك الباطل ليدهدهم (٣) في أهويات الفتن، ووهدات الضلال، ولعمري لقد صدق إبليس عليهم ظنه، اقتنصهم بأنشوطة فخه، فعلى رسلك يا عبد الله تمشي الهويني وتكون أولا، فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد الذي لا يصطاد إلا غيلة (٤)، ولا يتشازر (٥) إلا عند حيلة، وكالثعلب (٦) لا يفلت إلا روغانا، وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وامتهن

---

(١) انظر: جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٠.

(٢) في الأصل غير واضحة وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب.

(٣) دهده الحجرة متدهده: دحرجه فتدحرج.

(٤) الغيلة: الاحتيال.

(٥) تشازر القوم: نظر بعضهم إلى بعض شزرا، والشزر: النظر بمؤخر العين.

(٦) في جمهرة رسائل العرب: كالثعلب.

نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره، وابحث عن أمورهم بحث الدجاج عن حب الدخن عند فقاسها، وأنغل (١) الحجاز فأني منغل الشام، والسلام (٢).

وكتب إلى سعيد بن العاص:

أما بعد، فقد ورد علي كتاب مروان بن الحكم من ساعة حين وقعت النازلة، تصل بها البرد (٣) بسير المطي الوجيف (٤)، يتوجس (٥) كتوجس الحية الذكر خوف ضربة الفأس وقبضة الحاوي (٦)، ومروان لا يكذب أهله، فعلام الافكاك (٧) يا بن العاص ولات حين مناص؟ وذلك إنكم يا بني أمية عما قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة، فينكركم من كان بكم عارفا، ويصد عنكم من كان لكم واصلا، فتتفرقون في البلاد، وتتمنون لمظة (٨) المعاش.

ألا وإن أمير المؤمنين عتب عليه فيكم، وقتل في سببكم، فقبيح القعود عن نصرته، والطلب بدمه! وأنتم بنو أمية، ودون الناس منه

---

(١) انغل الحجاز: أي أفسده.
(٢) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠١.
(٣) البرد: جمع بريد.
(٤) وجف الفرس: عدا.
(٥) تتوجس: تسمع إلى الصوت الخفي.
(٦) الحاوي: جامع الحيات.
(٧) الافكاك: التراخي.
(٨) اللماظة: ما يبقى في الفم من الطعام.

رحما وقربا وطلاب ثأره، فأصبحتم متمسكين [بشظف معاش زهيد] (١) قليل ينزع منكم عند التخاذل، وضعف القوى.
فإذا قرأت كتابي هذا فدب دبيب البرد في الجسد النحيف، وسر سير النجوم تحت الغمام، واحشد حشد (٢) الذرة في الصيف لأنجحارها في الصرد، فقد أيدتكم بأسد وتيم، وكتب في آخر الكتاب (٣):

تالله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا خير معد حسبا ونائلا

وكتب إلى عبد الله بن عامر:

أما بعد، فإن المنبر مركب ذلول سهل الرياض لا ينازعك اللجام، وهيهات ذلك إلا بعد ركوب اثباج (٤) المهالك، واقتحام أمواج المعاطب، فكأني بكم يا بني أمية شعارير (٥) كالأوراق تقودها الحداة (٦)، أو كرخم الخندمة (٧) تذرف خوف العقاب، فثب الآن قبل أن

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب.
والشظف: شدة العيش.
(٢) أي اجمع جمع الذرة.
(٣) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٢.
(٤) اثباج: جمع ثبج بالتحريك، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.
(٥) يقال: ذهبوا شعاليل وشعارير أي متفرقين.
(٦) الحداة: جمع الحادي وهو سائق الإبل.
(٧) الخندمة: جبل بمكة.

يستشري الفساد، وندب السوط جديد، والجرح لما يندمل، ومن قبل استضراء الأسد، والتقاء لحييه على فريسته، وساور الأمر مساورة الذئب الأطلس (١) كسيرة القطيع، ونازل الرأي، وانصب الشرك، وأرم عن تمكن، وضع الهناء مواضع النقب (٢)، واجعل أكبر عدتك الحذر، وأحد سلاحك التحريض، وأغض عن العوراء، وسامح عن اللجوج، واستعطف الشارد، ولاين الأشوس (٣)، وقو عزم المريد، وبادر العقبة، وأزحف زحف الحية، واسبق قبل أن تسبق، وقم قبل أن يقام لك، واعلم أنك غير متروك ولا مهمل، فأني لك ناصح أمين، والسلام.

ثم إنه كتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا (٤):

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته، ما شاء أن يترحما
تحية من أهدى السلام لأهله إذا * شط دارا عن مزارك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وكتب إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

أما بعد، يا ابن عقبة: كن الجيش، وطيب العيش، أطيب من سفع

---

(١) الذئب الأطلس: الذي في لونه غبرة إلى السواد.
(٢) الهناء: القطران، والنقب بضم ففتح: القطع المتفرقة.
(٣) الشوس بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا.
(٤) انظر: جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٣.
والأبيات لعبدة بن الصليب يرثي بها قيس بن عاصم كما في رواية الاصفهاني في الأغاني ١٨: ١٦٣ وفيه يقول:
تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلما

سموم (١) الجوزاء عند اعتدال الشمس في أفقها، إلا أن أخاك (٢) عثمان أصبح منك بعيدا، فصرت بعده مزيدا، فأطلب لنفسك ظلا تأوي إليه فتستكن به، فأني أراك على التراب رقودا، وكيف بالرقاد بك؟ لا رقاد لك! فلو قد استتب هذا الأمر لمريده ألفيت كشريد النعام يفزع من ظل الطائر، وعن قليل تشرب الرنق (٣)، وتستشعر الخوف (٤)، ألا وإني أراك فسيح الصدر، مسترخي اللبب (٥)، رحوا الحزام، قليل الاكتراث، وعن قليل يجتث أصلك، والسلام.

وكتب في آخره هذين البيتين شعرا (٦):

اخترت نومك أن هبت شامية * عند الهجير وشربا بالعشيات
على طلابك ثأرا من بني حكم * هيهات من راقد طلاب ثارات

وكتب إلى يعلى بن أمية:

أما بعد، أحاطك الله بكلاءته، وأيدك بتوفيقه، كتبت إلي صبيحة ورد علي كتاب مروان بن الحكم، يخبرني باستشهاد أمير المؤمنين وشرح الحال، وأنه قد طال به العمر حتى نقضت قواه، وثقلت نهضته،

---

(١) سفعته السموم: لفتحه الريح الحارة لفحا يسيرا فغيرت لون البشرة.
(٢) الوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه.
(٤) ماء رنق: أي كدر.
(٤) يستشعر الخوف: جعله شعارا له.
(٥) اللبب: ما يشد في صدر الدابة لتثبيت الرحل.
(٦) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٤.

وظهرت به الرعشة في أعضائه، فلما رأى ذلك منه أقوام لم يكن لهم عنده موضعا للإمامة والأمانة، وتقليل الولاية، وثبوا إليه وألبوا عليه، فكان أعظم ما نقموا عليه وأعابوه به، ولايتك اليمن، وطول مدتك عليها، ثم ترامى بهم الأمر حالا بعد حال، حتى ذبحوه ذبح النطيحة مبادرا بها الموت (١)، وهو مع ذلك صائم، معانق المصحف، يتلو كتاب الله تعالى، فقد عظمت مصيبة الإسلام باستشهاد صهر (٢) الرسول، والإمام المقتول على غير جرم سفكوا دمه، وانتهكوا حرمته، وأنت تعلم أن بيعته في أعناقنا، وطلب ثأره لازم علينا، فلا خير في امرئ يعدل عن الحق، ويميل إلى الباطل، عن نهج الصدق، النار ولا العار، ألا وإن الله جل ثناؤه لا يرضى بالتعذير في دينه، فشمر أطرافك لدخول العراقين (٣)، فأني قد كفيتك الشام وأهلها، وأحكمت أمرها، واعلم أني كتبت إلى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة لاجتماع رأيكما لإظهار الدعوة لطلب دم عثمان، وكتبت أيضا إلى عبد الله بن عامر، يمهد لكم أهل العراقين ويسهل لكم حزونة عتابها واعلم أن القوم قاصدوك بادئ بدء، لاستنزاف (٤) ما حوته يداك من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسبه، أيدك الله تعالى بمشيئته والسلام، وكتب في أسفله هذه

---

(١) في الأصل: الفوت وهو تصحيف وصوابه كما جاء في جمهرة رسائل العرب.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في الأصل: العراقيين وهو تصحيف وصوابه كما جاء في الجمهرة.
(٤) في الأصل: الاستضاف وهو تصحيف وصوابه كما جاء في الجمهرة.

الأبيات شعرا (١):

ظل الخليفة محصورا يناشدهم * بالله طورا، وبالقرآن أحيانا
وقد تألق أقوام على حنق عن * غير جرم، وقالوا فيه بهتانا
فقام يذكرهم وعد الرسول له * وقوله فيه إسرارا وإعلانا
فقال: كفوا فإني معتب لكم * وصارف عنكم يعلى ومروانا
فكذبوا ذاك منه، ثم ساوره * من حاض لبته ظلما وعدوانا

في أجوبتهم لمعاوية، قال:

فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية: أما بعد، فقد وصل إلي كتابك، فنعم كتاب زعيم العشيرة، وحامي الذمار (٢)، فأخبرك أن القوم على سنن استقامة [إلا شظايا شعب] (٣) شننت بينهم مقولي (٤) على غير مجابهة، حسب ما تقدم من أمرك، فإنما كان ذلك دسيس (٥) العصاة ورمي الجذر من أغصان الدوحة، ولقد طويت أديمهم على نغل (٦) يحلم منه الجلد، كذبت نفس الضان بنا ترك المظلمة، وحب الهجوع إلا تهويمة (٧) الراكب العجل، حتى تجذ الجماجم جذ [العراجين

---

(١) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٥ - ٣٠٦.
(٢) الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.
(٤) سقطت من الأصل وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب.
(٤) المقول: اللسان.
(٥) دسيس: إخفاء المكر.
(٦) الأديم: الجلد المدبوغ، ونغل الأديم: فسد في الدباغ.
(٧) التهويم: هز الرأس من النعاس.

المهدلة حين] (١) انبياعها، وأنا على صحة نيتي، وقوة عزيمتي، لتحريك الرحم لي وغليان الدم مني. غير سابقك بقول، ولا متقدمك بفعل، وأنت ابن حرب وطلاب الترات (٢)، وأبي الضيم، وكتابي إليك وأنا كحرباء السبسب (٣) في الهجير ترقب عين الغزالة (٤)، وكالسبع المفلت من الشرك يفرق (٥) من صوت نفسه، منتظرا لما تصح به عزيمتك، ويرد به أمرك فيكون العمل به والمحتذى عليه.

وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا (٦):

أيقتل عثمان وترقا دموعنا * ونرقد هذا الليل لا تتنزع
ونشرب برد الماء ريا وقد مضى * على ضمأ يتلو القرآن ويركع
فأني ومن حج الملبون بيته * وطافوا به سعيا وذو العرش يسمع
سأمنع نفسي كل ما فيه لذة * من العيش حتى لا يرى فيه مطمع
وأقتل بالمظلوم من كان ظالما * وذلك حكم الله ما عنه مدفع

وكتب عبد الله بن عامر إلى معاوية:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين كان لنا الجناح الحاضنة تأوي إليها

---

(١) سقطت من الأصل، وتجذ: تقطع، والعراجين: جمع عرجون وهو أصل العذق.
(٢) الترات: جمع ترة، وهي الثأر.
(٣) السبسب: المفازة.
(٤) الغزالة: الشمس.
(٥) يفرق: يخاف.
(٦) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٦ - ٣٠٧.

فراخها تحتها، فلما أقصده السهم صرنا كالنعام الشارد، ولقد كنت مشرد (١) الفكر، ضال الفهم، التمس [درية] (٢) استجن بها من خطأ الحوادث، حتى وقع إلي كتابك، فانتبهت من غفلة طار فيها رقادي، فأنا كواجد المحجة (٢) كان إلى جانبها حائرا، وكأني أعاين ما وصفت من تصرف الأحوال، فالذي أخبرك به أن الناس في هذا الأمر: تسعة لك، وواحد عليك، ووالله إن الموت في طلب العز أحسن من الحياة في الذلة.

وأنت ابن حرب فتى الحروب، ونصار بني عبد شمس، والهمم بك منوطة لأنك منهضها، فإذا نهضت فليس لنا التخلف عنك، بل ولا لأحد من الناس القعود حين نهوضك، وأنا اليوم على خلاف ما كانت عليه عزيمتي:

من طلب العاقبة، وحب السلامة قبل قرعك سويداء (٤) القلب بسوط الملام، ولنعم مؤدب العشيرة أنت، وإنا لنرجوك بعد عثمان كهفا لنا، نتوقع لوعدك، نترقب لأمرك وما يكون منك لأمتثله واعمل عليه، إن شاء الله تعالى.

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) سقطت من الأصل وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب. الدريئة: كل ما استتر به الصيد ليختل. واستجن: استتر.

(٣) المحجة: الطريق الواضح.

(٤) سويداء القلب: حبته.

وكتب في أسفله هذه الأبيات شعرا:
لا خير في العيش في ذل ومنقصة * فالموت أحسن من ضيم ومن عار
إنا بنو عبد شمس معشر أنف * غر جحاجحة طلاب أوتار
والله لو كان ذمي مجاورنا ليطلب * العز لم نقعد عن الجار
فكيف عثمان إذ يدفن بمزبلة * على القمامة مطروحا بها عار
فازحف إلي فإني زاحف لهم بكل * أبيض ماض الحد بتار (١)
وكتب الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى معاوية:
أما بعد، فإنك ابن حرب (٢) وسيد قريش، وأكملهم عقلا، وأحسنهم فهما، وأصوبهم رأيا، وأعرفهم لحسن السياسة (٣)، إذ أنت معدن الرياسة (٤)، تورد بمعرفة، وتصدر عن منهل روي، مناويك كالمنقلب من العيون، تهوي به عواصف الشمال في لجة البحر.
كتبت إلي تذكر كن الجيش، ولين العيش، [فملأت بطني على حمام] (٥) إلى مسكة الرحق (٦)، حتى أفري أوداج قتلة عثمان رضي الله عنه

---

(١) جمهرة رسائل العرب: ١: ٣٠٧ - ٣٠٨.
(٢) في جمهرة رسائل العرب: أسد قريش عقلا.
(٣) في الجمهرة: معك حسن السياسة.
(٤) في الجمهرة: وأنت موضع الرياسة.
(٥) سقطت من الأصل وأثبتناها من الجمهرة.
(٦) رحق: الرحيق وهو الخالص من الخمر، وتقول: يا شارب الرحيق أبشر بعذاب الحريق، ومن المجاز: مسك الرحيق، لا غش فيه.
انظر: أساس البلاغة: ١٥٧.

فري الأهب (١) بشبا الشفار (٢)، وأما اللين فهيهات، إلا خفية الموت إذ يرتقب غفلة الطالب، فإنا على مداجاة (٣) ولم نبد صفحاتنا بعد، وليس دون الدم بالدم مزحل (٤) إذ لا يخفى عند ذوي المعرفة والمروءة أن العار منقصة والضعف ذل، أيخبط قتلة عثمان زهوة الحياة الدنيا، ويسقون برد العين، وكما يمتطوا الخوف، ويستحلسوا (٥) الحذر مع بعد مسافة الطرد (٦)، وامتطاء العقبة الكئود (٧) وفي الرحلة؟

لا دعيت لعقبة! إن كان ذلك، حتى انصب لهم حربا، تضع الحوامل لها أطفالها، فقد ألوت (٨) بنا المسافة، ووردنا حياض المنايا، وقد عقلت نفسي على الموت عقل البعير، واحتسبت أني قتيل ثاني بعد عثمان أو أقتل قاتله، فعجل علي بما تتوقاه من رأيك الحسن (٩)، فإنا منوطون بك منتظرون لوعدك متبعون لعقبك، [ليس لنا من مخالف لأمرك] (١٠)، ولم أحسب الحال يتراخى بك إلى هذه الغاية لما أنا خائف

---

(١) الاهب: أخذ للسفر أهبته وتأهب له.
(٢) شبا الشفار: الشفرة الحادة.
(٣) المداجاة: المداراة.
(٤) مزحل: مبعد، من زحل مال عنه، ودخل عليه فزحل له عن مكانه.
(٥) استحلس فلان الخوف: إذا لم يفارقه الخوف.
(٦) طرد: طرده طردا وطردا، وطرده وأطرده: أبعده ونحاه.
(٧) العقبة الكئود: الصعبة.
(٨) ألوى بهم الدهر: أهلكهم.
(٩) في الجمهرة: فعجل علي ما يكون من رأيك.
(١٠) لم ترد في الجمهرة.

من أحكام القوم لأمورهم، كما لا يخفى عليك، والسلام عليك.
وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا (١):
نومي علي محرم إن لم أقم بدم ابن أمي من بني العلات
قامت علي إذ قعدت ولم أقم بطلاب ذاك مناحة الأموات
عذبت حياض الموت عندي بعد ما كانت كريهة مورد النهلات
وكتب يعلى بن أمية إلى معاوية:
أما بعد، فأنا وأنتم بني أمية كالحجر، الذي لا يبنى بغير مدر (٢)، وكالسيف لا يقطع إلا بضاربه. وصل إلي كتابك يخبرنا بخبر القوم وحالهم، فلئن كانوا ذبحوه ذبح النطيحة بودر بها الموت، فإنا بني أمية، والله لنخرجن ذابحه، ولننحرنه نحر البدنة (٣) وافى بها الهدي الأجل!! ثكلتني (٤) من أنا ابنها إن نمت عن طلب وتر عثمان رضي الله عنه، من أن أذبح القوم، وإني مدلج (٥) وإن كان قصدهم ما حوته يداي من المال، فالمال أيسر مفقود إن دفعوا إلينا القاتل، وإن منعوا عن تسليمه، أنفقنا المال على قتالهم، وإن لنا وإياهم لمعركة [نتناحر فيها نحر الجزار

---

(١) جمهرة رسائل العرب ١: ٣٠٨ - ٣٠٩.
(٢) المدر: قطع الطين اليابس.
(٣) البدنة: من الإبل والبقر، كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة وتنحر بها، والهدي: ما يهدي إلى مكة.
(٤) ثكلته أمه: فقدته.
(٥) أدلج: سار من أول الليل.

النقائع عن قليل تصل لحومها] (١). وكتب في أسفل الكتاب (٢):
لمثل هذا اليوم أوصي الناس لا يعط ضيما أو يحز الرأس
وأما سعيد بن العاص فإنه كتب إلى معاوية بخلاف ما كتب إليه القوم فهذه صورة كتابه إليه:
أما بعد، فإن الحزم في التثبت، والخطأ في العجلة، والشؤم في البدار، وأسهم سهمك ما لم ينبض به الوتر، وأن يرد الحالب في الضرع اللبن، قد ذكرت ما لعثمان علينا من الحقوق والقرابة فيه، وأنه قتل فينا، فهنا خصلتان ذكرهما نقص، والثالثة تكذب (٣)، وأمرتنا بطلب دمه، فأي جهة تسلك فيها أبا عبد الرحمن؟ ردمت الفجاج (٤)، واحكم الأمر عليك، وولي زمامه غيرك، فدع مناوأة من لو كان افترش فراشه صدر الأمر لم يعدل به غيره، وقلت: كأنا عن قليل لا نتعارف، فهل نحن إلا حي من قريش، إن لم تنلنا الولاية لم يفتئ عن الحق؟ إنها خلافة منافية (٥)، وبالله أقسم قسما بارا لئن أصبحت عزيمتك على ما ورد به

---

(١) سقطت عن الأصل وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب. النقائع: جمع نقيعة، وهي كل جزور جزرت للضيافة.
(٢) جمهرة رسائل العرب ١: ٢١٠، مع اختلاف يسير.
(٣) تكذب: تكلف الكذب.
(٤) الفجاج: جمع فج (بالفتح) وهو الطريق الواسع. وردم: سد.
(٥) سقطت من الأصل وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب، ومنافية نسبة إلى عبد مناف جد الإمام علي عليه السلام ومعاوية، يعني بذلك أن الخلافة إن صارت في البيت العلوي، فهي لن تخرج من بني عبد مناف.

كتابك لألفيتك في الحالتين طليحا (١)، وهبني أخالك بعد خوض الدماء تنال الظفر، هل في ذلك عوض من ركوب المآثم ونقص في الدين.
أما أنا فلا علي بني أمية ولا لهم علي أن أجعل الحزم داري والبيت سجني وأتوسد الإسلام، واستشعر العاقبة، فأعدل أبا عبد الرحمن زمام راحلتك إلى محجة الحق، واستوهب العافية لأهلك وعشيرتك، واستعطف الناس على قول الصدق قبل أن تهلك) (٢)
(وهيهات من قبولك ما أقول حتى يفجر مروان ينابيع الفتن وأججح في البلاد، وكأني بكما عند ملاقاة الاقران تعتذران بالعذر، ولبئس العاقبة الندامة عما قليل يضح الأمر لك والسلام] (٣).
كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان
قال أبو علي أحمد بن الحسين بن أحمد بن عمران في كتاب (الاختصاص) (٤): إن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان:
أما بعد، فإن الله بجلالته وعظمته وسلطانه وقدرته على كافة خلقه

---

(١) طلح فهو طليح كقولهم هزل فهو هزيل.
(٢) في جمهرة رسائل العرب: واستعطف الناس على قومك.
(٣) سقطت من الأصل وأثبتناها من جمهرة رسائل العرب. انظر: جمهرة رسائل العرب ١: ٣١١ مع بعض الاختلاف اليسير وصححت بعض الكلمات الغامضة أو الساقطة.
(٤) الاختصاص: ١١٩.

وعز برهانه، [خلق خلقه] (١) بلا عبث منه ولا ضعف في قوة ولا من حاجة له إليهم، ولكنه سبحانه خلقهم عبيدا فجعل منهم غويا ورشيدا (٢) وشقيا وسعيدا، ثم اختار على علم فاصطفى وانتخب (٣) محمدا صلى الله عليه وآله فاصطفاه نجيبا وانتجبه خليلا فبعثه برسالته أمينا وأرسله بوحيه وائتمنه على أمره رسولا مصدقا وهاديا ودليلا ومبشرا ونذيرا، فكان أول من أجاب وصدق وأناب وآمن وأسلم، وسلم اخوه وابن عمه وصفيه ووصيه ووارث علمه، وخليفته من بعده بوحي من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب من حاربه وسالم من سالمه، ولم يزل باذلا نفسه بين يديه في ساعة الخوف والجوع والجد والهزل، حتى أظهر الله تعالى دعوته، وأفلج حجته.
وقد رأيتك أيها الغاوي (٤) تساميه وأنت أنت، وهو هو المبرز (٥) السباق في كل حين، أصدق الناس نية وأفضلهم سجية وأخصهم زوجة وأرفعهم منزلة، الباذل روحه حين مهاجرته عن أعدائه، والنائم على

---

(١) في النسخة العبارة غير واضحة وقد أثبتناها من الاختصاص.
(٢) سقطت من النسخة.
(٣) سقطت من النسخة.
(٣) في النسخة: العاري والصواب كما جاء في الاختصاص.
(٥) في النسخة: الهزير والصواب كما في الاختصاص.

فراشه والشاري بنفسه يوم موته، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب أعداء الله عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حوزته، وأنت أنت لم تزل أنت وأبوك تبتغيان عليهما الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله باجتماعكما الجموع، وتؤلبان (١) عليهما القبائل ببذل الأموال، وقد هلك على ذلك أبوك وعليه خلفك، والشاهد عليك بفعلك من يأوي (٢) ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
الذين معه وهم الذين ذكرهم الله تعالى وفضلهم في القرآن المجيد وأثنى على المهاجرين والأنصار، منهم معه كتائب وعصائب [من حوله يجادلون بأسيافهم ويهرقون دماءهم دونه] (٣) يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافة أمره، فلك الويل ثم الويل، كيف تعدل نفسك بعلي عليه السلام وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو ولديه، وشريكه في أمره بخيره
وشره، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع بباطلك إذ يمدك ابن العاص في غوايتك، وكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهي، واعلم أنك قد كايدت ربك الذي أمنت كيده في نفسك، وآيست من روحه وهو لك لبالمرصاد وأنت منه في غرور وعناد، [وبالله ورسوله وأهل رسوله عنك الغنى، والسلام على من اتبع الهدى] (٤).

---

(١) في النسخة [تؤنيان].
(٢) سقطت من النسخة.
(٣) سقطت من النسخة.
(٤) سقطت من النسخة وأثبتناها من الاختصاص.

وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات شعرا (١١):
معاوي ما أمسى هوى يستقيدني * إليك ولا أخفي الذي لا أعالن
ولا أنا في الأخرى إذا ما شهدتها * بنكس ولا هيابة في المواطن
حللت عقال الحرب جبنا وإنما * يطيب المنايا خائنا وابن خائن
فحسبك من إحدى ثلاث رأيتها * بعينك أو تلك التي لم تعاين
ركوبك بعد الأمن حربا مشارفا * وقد ذميت أضلافها والسناسن
وقدحك بالكفين توري ضريمة * من الجهل أدتها إليك الكهائن
ومسحك أقراب الشموس كأنها * تبس بإحدى الداحيات الحواضن
تنازع أسباب المروءة أهلها * وفي الصدر داء من جوى الغل كامن

جواب معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن أبي بكر رضي الله عنه

فأجابه معاوية بهذا الكتاب (٢):
بسم الله الرحمن الرحيم
من معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر الزاري على أبيه (خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣)، أما بعد، وصل (٤) إلي كتاب وما ذكرت فيه
(من أن الله) (٥) بعظمته وسلطانه وقدرته قد اصطفى رسوله مع كلام ألفته.

---

(١) الاختصاص: ١٢١.
(٢) الاختصاص: ١٢١.
(٣) سقطت من الاختصاص: ١٢١ - ١٢٢.
(٤) في كتاب صفين: فقد أتاني، وفي الاختصاص: فقد بلغني.
(٥) في صفين والاختصاص: ما الله أهله.

ووضعته (١)، فيه لرأيك تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف وتفضيل (٢) لابن
أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصرته له
ومواساته إياه في كل خوف وهول (٣)، فكان احتجاجك علي وعيبك لي
بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد ربك (٤) الذي صرف ذلك الفضل عنك
وجعله لغيرك. وقد كنا وأبوك معا في حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نرى حق
علي بن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرزا علينا، حتى اختار الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم ما اختار الله إليه، وقد أتم له وعده، وأظهر له دعوته، وأفلج
له
حجته، ثم قبضه الله إليه، فكان أول من ابتز حقه أبوك وفاروقه (٥)
وخالفاه في أمره، على ذلك [اتفقا واتسقا] (٦) بينهما، ثم إنهما دعواه
ليبايعهما [فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما] (٧) فلم يأتهما، فهما به الهموم،
وأرادا به العظيم، فعند ذلك بايع لهما وسلم (٨)، فلم يشركاه في أمرهما،
ولم يطلعاه قط على سريرتهما، حتى قبضا على ذلك، ثم قام بعدها
عثمان رضي الله عنه فاقتدى بهديهما، [حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي

---

(١) في الأصل: ووضعك.
(٢) في صفين: ذكرت حق، وفي الاختصاص: ذكرت فضل.
(٣) سقطت من الأصل وأثبتت من كتاب صفين والاختصاص.
(٤) في صفين والاختصاص [إلها].
(٥) في الأصل: وفاروقه الأعظم، ولم ترد الأعظم في صفين ولا في الاختصاص.
(٦) في الأصل: اتفاقا واتساقا، وصوابه كما في الاختصاص وصفين.
(٧) سقطت من الأصل.
(٨) في الأصل: بايعهما قهرا عليه، وسلم لهما القيادة جبرا عليه لعدم اتفاق المسلمين معه.

وبطنتما له] (١) وأظهرتما العداوة له حتى بلغتما فيه مجهودكما، ونلتما منه مناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شبرك بفترك، فكيف توازي من يوازي الجبال حلمه، ولا تعب من مهد [له أبوك] (٢) مهاده، وطرح لملكه وسادة، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك فيه أول من أسس بناءه، فنحن بهديهم اقتدينا وبفعلهم احتذينا، ولولا ما سبق إليه أبوك وفاروقه لما خالفنا الكتاب ونص رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل فأسلمنا إليه، واجتمعنا لديه، فليكن عيبك لأبيك، فعبه بما شئت أو دع، والسلام.

خروج الزبير وطلحة بعائشة إلى البصرة

قال المسعودي:

ولما ورد كتاب معاوية إلى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، لم يشكا في صدقه بالنصيحة لهما فاجتمعا على خلاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهما إليه وقالا: يا أمير المؤمنين لقد علمنا (٣) ما نحن فيه من الجفوة في زمن خلافة عثمان (٤) [واختصاصه عنا ببني أمية] (٥)

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) في الأصل: إليك.
(٣) ورد في البحار: قد رأيت.
(٤) في البحار: ولاية عثمان.
(٥) في البحار: كان في بني أمية.

دوننا، وقد من الله تعالى عليك بالخلافة من بعده، فولنا بعض عمالك.
فقال عليه السلام: ارضيا بما قسم الله تعالى لكما حتى أرى رأيي، واعلما أني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن عرفت دخيلته.
فداخلهما اليأس فاستأذناه للعمرة فخوفهما من الله ومن التسرع في الفتنة، فانصرفا عنه وتوجها إلى مكة، فلم يلقيا أحدا من الناس إلا استحثاه على الخروج معهما، فيسألهما عن خروجهما على أمير المؤمنين عليه السلام.
فيقولان: ليس له في أعناقنا بيعة برضى منا وإنما صدرت منا مبايعتنا له كرها منا وجبرا علينا، فبلغه قولهما، فقال عليه السلام: أبعدهما الله تعالى، والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما [أخبث مقتل ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم] (١) والله ما العمرة يريدان، ولقد أتياني بوجهين فاجرين ورجعا بوجهين غادرين ناكثين، والله لا يلقيان بعد اليوم إلا كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبعدا لهما وسحقا (٢).
فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام مسير طلحة والزبير بعائشة إلى البصرة، قال:
إن كل واحد منهما يريد الخلافة لنفسه دون صاحبه، فادعاء طلحة

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) انظر بحار الأنوار ٣٢: ٦.

للخلافة لأنه ابن عبيد الله عم عائشة، وادعاء الزبير لأنه صهر أبيها، والله، لئن ظفر الزبير بطلحة ليضربن عنقه! وإن ظفر طلحة بالزبير ليضربن عنقه! فلا بد من تنازعهما على هذا الملك.

والله، إنها الراكبة الجمل! لا تحل عقدة، ولا تسير عقبة، ولا تنزل منزلا إلا ولله فيه معصية، حتى تورد نفسها ومن معها موردا يقتل وليهم، ويهرب تليهم، ويرجع عليهم غيهم.

والله، إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما يخطيان ويجهلان ولرب عالم قتله جهله ومحله معه لا ينفعه، والله، لتنبحها كلاب الحوأب!!

فهل يعتبر معتبرا ويتفكر متفكرا، لقد قامت الفئة الطاغية فأين المحسنون؟

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام
حين بلغه مسير طلحة والزبير إلى البصرة

قال الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده (١):

لما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مسير طلحة والزبير بعائشة إلى البصرة، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:

أما بعد، أيها الناس (١): إن الله عز وجل بعث نبيه محمدا صلى الله

---

(١) الإرشاد: ١٣٠، بحار الأنوار ٣٢: ٩٨ ح ٦٩.
(٢) سقطت من الإرشاد.

عليه وآله إلى الناس كافة، وجعله رحمة للعالمين (١)، فصدع بما أمره به، وبلغ رسالاته، فلم به الصدع، ورتق به الفتق، وأمن به السبل، وحقن به الدماء، وألف به ذوي الإحن والعداوة، والوغر في الصدور، والضغائن الراسخة في القلوب، ثم [قبضه الله إليه] (٢) حميدا لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة، ولا بلغ شيئا كان في التقصير عنه وكان من بعده ما كان من التنازع في الأمر، فتولى أبو بكر وبعده عمر، ثم تولى عثمان، [فلما كان] (٣) من أمره [ما] (٤) عرفتموه، وأتيتموني (٥)، فقلتم: بايعنا (٦)، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى (٧).

فقلت: لا (٨)، وقبضتم على يدي فبسطتموها وأنا كاره فنازعتكم، فجذبتموها!!، وقد تداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعضا، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، [وبايعني في أولكم] (٩) طلحة والزبير

---

(١) في النسخة: وجعله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا.
(٢) في النسخة: قبضه الله.
(٣) في النسخة: فكان.
(٤) في النسخة: ما قد.
(٥) في النسخة: فأتيتموني طائعين مختارين.
(٦) في النسخة: بايعناك.
(٧) في النسخة الخطية: لا بد لك من ذلك.
(٨) كذا في الأصل: لا يكون ذلك.
(٩) في الأصل [فأولكم مبايع لي].

طائعين [غير مكرهين]!!.
ثم لم يلبثا حتى استأذناني في العمرة، والله يعلم إنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا في الأمة (١) الغوائل، فعاهداني ثم لم يفيا لي (٢)، فنكثا بيعتي ونقضا عهدي (٣) فعجبا لهما من انقيادهما [لأبي بكر وعمر وخلافهما لي] (٤)، ولست بدون أحد الرجلين، ولو شئت أن أقول اللهم احكم عليهما بما صنعا [في حقي وصغرا من أمري] وظفرني بهما.
وله عليه السلام خطبة أخرى
وقال عليه السلام في مقام آخر في هذا المعنى، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم (٥):
أما بعد، أيها الناس (٦) فإن الله عز وجل لما قبض نبيه صلى الله عليه وسلم، قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحق [الناس بالأمر

---

(١) في الأصل [في الأمة].
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في الأصل [حتى وثبا على الماضيين قبلهما، ليذهبا بحقي، ويفرقا جماعة المسلمين على تعجب] والصواب كما ورد في الإرشاد.
(٤) في الأصل: إلى من سبقها وخلافهما والصواب كما في الإرشاد.
(٥) الإرشاد ١: ٢٤٥، بحار الأنوار ٣٣: ١١١ ح ٨٦.
(٦) لم ترد في الإرشاد.

والخلافة] (١)، لا ننازع في حقه وسلطانه، فبينا نحن [كذلك] (٢) إذ نفر قوم من المنافقين حتى انتزعوا سلطان نبينا منا، وولوه غيرنا، فبكت - والله - لذلك العيون والقلوب منا جميعا معا، [وخشنت] له الصدور، وجزعت النفوس منا جزعا أرغم، وأيم الله [لولا] مخافتي الفرق بين المسلمين وأن يقود أكثرهم إلى الكفر ويعور الدين، لكنا قد غيرنا ذلك بما استطعنا. وقد بايعتموني الآن وبايعني هذان الرجلان طلحة والزبير على الطوع منهما ومنكم [الايثار] (٣)، ثم نهضا يريدان ببغيهما (٤) البصرة، ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم [بينكم]، اللهم فخذهما (بغشهما)، لهذه الأمة واخذل بيعتهما لهذه الأمة وبسوء نظرهما للعلامة (٥).

ثم قال عليه السلام: انفروا (٦) رحمكم الله لطلب الناكثين القاسطين الباغين قبل أن يفوتا، [فتداركوا ما خبياه] (٧).

ومن كلامه عليه السلام

فخرجا يجران (٨) حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تجر الأمة عند

---

(١) في الإرشاد: وأحق الخلق به.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في الأصل: الأثر.
(٤) سقطت من الإرشاد.
(٥) في الأصل: واخذل بيعتهما لهذه لتنظرهما العامة.
(٦) في الأصل: تفرقوا والصواب في الإرشاد.
(٧) في الإرشاد: قبل أن يفوت تدارك ما خبياه.
(٨) في نهج البلاغة: فخرجوا يجرون.

شرائها متوجهين بها إلى البصرة، [فحبسا نساءهم في بيوتهم] (١)، وأبرزا حبيس (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما ولغيرهما في جيش، فما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره (٣).

فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين الذي في يدي، وعلى أهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتتوا شملهم وفرقوا كلمتهم، وأفسدوا جماعتهم، ووثبوا على شيعتي (٤) فقتلوا طائفة منهم غدرا، [وطائفة عضوا على أسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين] (٥).

فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا متعمدين لقتله، بلا جرم لحل قتل ذلك الجيش كله، إذ حضروه، فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد، دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا عليهم، [وقتلوا من السيامجة أربعمائة رجل، وعزروا بولاتها] (٦).

---

(١) في نهج البلاغة: فخرجوا يجرون.
(٢) في نهج البلاغة: نساءهما في بيوتهما.
(٣) في الأصل: جيش، ويظهر من تصحيفات الناسخ.
(٤) في الأصل: طائعا مختارا غير مكره.
(٥) لم ترد في نهج البلاغة.
(٦) لم ترد في نهج البلاغة.

فصل.. في خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه
إلى البصرة ونصح أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها
قال أبو علي أحمد بن الحسين بن أحمد بن عمران: فيما استخرج
من كتاب (الاختصاص) (١) حدثني محمد بن علي بن شاذان، قال:
حدثنا أحمد بن يحيى النحوي أبو العباس [ثعلب] (٢)، قال: حدثنا
أحمد بن سهل أبو عبد الرحمن، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن إسحاق
بن موسى، قال: حدثنا أحمد بن قتيبة أبو بكر، عن عبد الحكيم
(القتيبي (٣)، عند أبي (كبسه) (٤)، ويزيد بن رومان، قالا:
لما قصدت عائشة رضي الله عنه الخروج على أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام (٥) أتت إلى أم سلمة بمكة المشرفة، وقالت لها:
يا بنت أبي (٦) أمية لقد كنت كبيرة أمهات (٧) المؤمنين، وكان رسول

---

(١) الاختصاص: ١١٣.
(٢) سقطت من النسخة.
(٣) في النسخة: القبعي، وهذا تصحيف سببه الناسخ والصواب كما في الاختصاص.
(٤) في النسخة: كبشه، والصواب كما في الاختصاص.
(٥) في الاختصاص: لما أجمعت عائشة على الخروج إلى البصرة.
(٦) سقطت من النسخة وأثبتناها من الاختصاص.
(٧) في النسخة: رؤساء أمهات.

الله صلى الله عليه وسلم يقيم ببيتك ويقسم لنا وينزل عليه الوحي، [قالت لها يا بنت أبي
بكر] (١) ولقد زرتني [وما كنت زوارة ولأمر ما تقولين] (٢). [قالت: إن أخي] (٣) وابن أخي أخبراني أن عثمان قتل مظلوما، وأن بالبصرة مائة ألف [سيف يطاعون] (٥)، فهل لك في الخروج معي لعل الله أن يصلح أمر المسلمين من التشاجر بين الفئتين؟
(فقالت: يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطلبين) (٥)؟ فقلد كنت أشد الناس عليه عداوة، وإن كنت لتدعينه بالتبرئ، أم أمر ابن أبي طالب تنقضين (٥)!

---

(١) سقطت من النسخة وأثبتت من الاختصاص.
(٢) في النسخة: ولست بزائرة ولا تمن تقبلين هذا المقال.
(٣) سقطت من النسخة وأثبتت من الاختصاص.
(٤) في النسخة: سيأتي يطلبوني.
(٥) سقطت من النسخة وأثبتناها من الاختصاص.
(٦) في نصيحة أم سلمة رضي الله عنه لعائشة بعدم الخروج، ثم رأتها لا تتعظ، قال الشيخ المفيد (أعلا الله مقامه) في كتابه (الجمل أو النصرة في حرب البصرة) (ص ١٢٨): (ثم أنفذت أم سلمة إلى عائشة، فقالت لها: وقد وعظتك فلم تتعظي، وقد كنت أعرف رأيك في عثمان، وأنه لو طلب شربة ماء لمنعتيه، ثم أنت اليوم تقولين إنه قتل مظلوما، وتريدين أن تثيري لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديما وحديثا، فاتق الله حق تقاته، ولا تعرضي لسخطه، فأرسلت إليها عائشة: أما ما كنت تعرفينه من رأيي في عثمان فقد كان، ولا أجد مخرجا منه إلا الطلب بدمه، وأما علي فأني آمره برده هذا الأمر شورى بين الناس، فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض.
فأنفذت إليها أم سلمة: أما أنا فغير واعظة لك من بعد، ولا مكلمة لك جهدي وطاقتي، والله إني لخائفة عليك البوار ثم النار، والله ليخيبنك ظنك، وينصرن الله ابن أبي طالب على من بغى وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام).

ولقد نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآن قد بايعته المهاجرون والأنصار، وأن ذلك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، وحجابه مضروب على حرمه، وقد جمع [القرآن ذلك] (١) فلا [تبذخيه] (٢) وسكني عقيراك فلا تضحي بها [الله من وراء] (٣) هذه الأمة، قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانك، ولو أراد أن يعهد إليك فعل.

وقد نهاك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفراطة في البلاد، فإن عمود الإسلام لا يرأبه النساء إن أثلم ولا يشعب بهن إن انصدع، حماديات النساء غض الأطراف وقصر الوهادة، وما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لك ببعض الفلوات وأنت ناصة قلوصا من منهل إلى آخر بعين الله مهواك، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين قد وجهت سدافته وتركت عهده.

أقسم بالله لئن سرت مسيرك هذا، ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن القي رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا قد ضربه علي، فاجعلي حصنك بيتك (٤)، وقاعة الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على

---

(١) في النسخة: ذلك لك.

(٢) سقطت من النسخة.

(٣) سقطت من النسخة.

(٤) وكانت أم سلمة تطالبها بتطبيق قوله تعالى وقرن في بيوتكن، ففي تفسير روح المعاني للآلوسي، روى البزاز عن أنس: أن النساء جئن إلى رسول الله بعد نزول الآية فقلن: لقد ذهب الرجال بالفضل والجهاد، فهل لنا عمل ندرك به فضل فقال: من قعد منكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين.

وقال السيوطي: إن سودة بنت زمعة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لم تحج بعد نزول الآية فقيل لها في ذلك، فقالت: إني حججت واعتمرت، وأمرني ربي تعالى شأنه أن أقر في بيتي حتى تخرج جنازتي.

وأخرج مسروق: أن عائشة كلما قرأت وقرن في بيوتكن تبكي حتى تبل خمارها. انظر: روح المعاني ٢٢: ٦، الدر المنثور ٥: ١٩٦.

ذلك أطوع [ما تكونين لله ما التزمتيه، وأبصري ما تكونين للدين ما جلست عند بيتك] (١).
ثم قالت: لو ذكرتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا في علي عليه السلام لنهشتيني رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرع بين نسائه إذا أراد سفرا، فأقرع بينهن فخرج
سهمي وسهمك، فبينا نحن معه وهو هابط من قديد ومعه علي عليه السلام يحدثه، فذهبت لتهجمي عليه، فقلت لك: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه ابن عمه ولعل له إليه حاجة، فعصيتني ورجعت باكية فسألتك، فقلت:
إنك هجمت عليهما، فقلت له يا علي: إنما لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من تسعة أيام وقد شغلته مني! فأخبرتيني أنه قال لك: أتبغضينه؟
فقلت: كيف أبغضه وهو أخوك وابن عمك، وأحب الناس إليك.
فقال صلى الله عليه وسلم: ما يبغضه أحد من أهلي ولا من أمتي إلا خرج من الإيمان. قالت: نعم.

---

(١) لم تر هذه العبارة في الاختصاص.

(ويوم أراد) (١) رسول الله صلى الله عليه وآله (سفرا) (٢) وأنا أجش له جشيشا فقال (ليت شعري) (٣) أيتكن صاحبة الجمل الأحدب (٤) تنبحها كلاب الحوأب، فرفعت يدي من الجشيش، وقلت: أعوذ بالله من ذلك أن أكون.

فقال صلى الله عليه وسلم: والله لا بد لأحدكما أن يكونه [إتقي الله] (٦) يا حميراء، أن تكونيه!!، أتذكرين هذا؟! قالت: نعم.

ويوم تبذلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلبست ثيابي ولبست ثيابك، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبك.

فقال صلى الله عليه وسلم: أتظنين يا حميراء إني لا أعرفك؟ أما إن لأمتي منك يوما [مرا أو يوما] (١)، أتذكرين هذا؟ قالت: نعم.

ويوم كنت أنا وأنت ذات يوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أبوك وصاحبه يستأذن الدخول، فدخلت الخدر.

فقالا: يا رسول الله، إنا لا ندري قدر مقامك فينا، فلو جعلت لنا انسانا نأتيه بعدك.

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في الأصل عبارة غير واضحة وأثبتت من الاختصاص.
(٤) سقطت من الأصل.
(٥) سقطت من الأصل.
(٦) في الأصل عبارة غير واضحة.

فقال صلى الله عليه وسلم: أما إني أعرف مكانه وأعلم موضعه، فلو أخبرتكم به لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم عليه السلام.
فلما خرجا خرجت إليه أنا وأنت حزينة عليه، فقلت له: يا رسول الله من كنت جاعلا لهم؟
فقال صلى الله عليه وسلم: خاصف النعل [وغاسل الثوب] (١) وكان علي عليه السلام عليه السلام
يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويغسل ثوبه إذا اتسخ.
فقلت: ما أرى إلا عليا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هو ذاك، أتذكرين هذا (٢)؟
قالت: نعم.
قالت: يوم جمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فقال صلى الله عليه وسلم:
يا نساء (٣) النبي، أتقين الله ولا يسفرن (٤) بكن أحد، أتذكرين هذا (٥)؟ قالت: نعم.
(يا حميراء إنك لتقاتلين عليا وأنت ظالمة له!!) (٦) قالت نعم.
فقالت عائشة رضي الله عنه: لقد سمعت وفهمت قولك [وقبلت نصحك

---

(١) لم ترد في الاختصاص.
(٢) في الاختصاص: يا عائشة.
(٣) في الاختصاص: يا نسائي.
(٤) في الاختصاص: لا يسفر.
(٥) في الاختصاص: يا عائشة.
(٦) لم ترد في الاختصاص.

ووعظك لي] (١) وأسمعني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج، وإن أقعد ففي غير بأس.
ثم إنها أمرت أن ينادى في الناس: من أراد الخروج فليخرج، فإن أم المؤمنين نأت عن الخروج.
فدخل عليها عبد الله بن الزبير بن العوام [فنفث في أذنيها كنفث الحية لسمها، وقلبها في الذروة] (٢)، فأمرت أن ينادى في الناس إن أم المؤمنين خارجة فمن أراد الخروج فليخرج معها. فأنشأت أم سلمة تقول هذه الأبيات شعرا (٣):

لوان معتصما من زلة أحد كانت * لعائشة [العتبي على] (٤) الناس
كم سنة لرسول الله تاركة * وتلو آي من القرآن مدراس
قد ينزع من أناس عقولهم * حتى يكون الذي يقضى على الناس

---

(١) في الاختصاص: ما أقبلني لوعظك.
(٢) في الاختصاص: فنفث في أذنها وقلبها في الذروة.
(٣) ذكر ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٨، نهي أم سلمة لها فلما رأتها لا تقبل قالت:

نصحت ولكن ليس للنصح قابل ولو قبلت ما عنفتها العواذل
كان بها قد ردت الحرب رحلها وليس لها إلا الترحل راحل

وذكر البيهقي في المحاسن والمساوئ ١: ٢٣١ إن أم سلمة حلفت أن لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب علي، فدخلت عائشة عليها يوما وكلمتها. فقالت أم سلمة: ألم أنهك؟ ألم أقل لك؟ قالت: إني أستغفر الله كلميني.
فقالت أم سلمة: يا حائط ألم أنهك؟ ألم أقل لك؟ فلم تكلمها أم سلمة حتى ماتت.
(٤) في النسخة: الدنيا بغي، وصوابه كما في الاختصاص.

فيرحم الله أم المؤمنين لقد كانت تبدل [إيحاشا بإيناس] (١)
تحرك القوم إلى البصرة
قال: فكان قصدهم الشام، فصادفهم في أثناء الطريق عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة قد صرفه أمير المؤمنين بحارثة بن قدامة السعدي وأخذ البيعة من أهلها، فقال لهم عبد الله بن عامر: اعلموا أني أمس منكم خبرا بمعاوية، إنه لا ينقاد إليكم ولا يعطيكم ما هو ضامر عليه في نفسه، فمشورتي عليكم أن تنتحوا عنه، وعليكم بحفظ البصرة فإنها كثيرة الضياع والعدة، وجهزهم بألف ألف درهم (٢) ومائة من الإبل وغير ذلك.
وأما يعلى بن منية أعطاهما أربعمائة ألف درهم (٣)، وكراعا وسلاحا، والجمل المسمى ب (عسكر) الذي ركبته قد اشتراه بمائتي دينار، فكان عسكرها ثلاثين ألفا، وعسكر أمير المؤمنين علي عليه السلام عشرين ألفا.
فلما انتهى بهم المسير إلى الموضع المعروف بالحوأب (٤) أحد

---

(١) في النسخة: الحاسا بالناس، وصوابه كما ورد في الاختصاص.
(٢) في الأصل: ألف درهم، والصواب كما في مروج الذهب م ٢: ٣٦٦.
(٣) في الأصل: أربعمائة ألف دينار، وصوابه كما ذكره المسعودي.
(٤) الحوأب: بالفتح ثم السكون، وهمزة مفتوحة، وياء موحدة، وأصله في اللغة، يقال: حافر حوأب، وأب صعب، والحوأبة: العلبة الضخمة، والحوأب: الوادي الوسيع، والحوأب: موضع معروف في طريق البصرة: قال أبو زياد: ومن مياه أبي بكر بن كلاب الحوأب، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلي. وقيل سمي الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة وهي أم تميم وبكر.
قال ياقوت الحموي: إن عائشة لما رأت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب، فقالت: ما هذا الموضع؟ قيل لها: هذه موضع يقال له الحوأب، فقالت: إنا لله ما أراني إلا صاحبة القصة.
قيل لها: وأي قصة؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة في كتيبة إلى الشرق! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس بالحوأب. انظر: معجم البلدان ٢: ٣١٤.

منازل بني عبس، وجدوهم نازلين على مائه فعوت بهم كلابهم.
فقال عائشة رضي الله عنه: ما اسم هذا الموضع الذي عوت بنا كلاب أهله؟
فقال لها قائد جملها: هذا الحوأب (الحوأب أحد منازل بني عبس)
وهذه كلابهم، فتذكرت ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فقالت: ردوا بي إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا حاجة لي في هذا المسير وكان طلحة والزبير في الساقة، فلحقا بها وأقسما لها أن ليس هذا بالحوأب، إنما سائق الجمل غلط في قوله لك!! وشهد لها خمسون رجلا ممن معهم!! فكان هي أول شهادة زور وقعت في الإسلام.
فسارت حتى قدمت البصرة، فمانعهم دونها عثمان بن حنيف والخزان والموكلون بها من قبل أمير المؤمنين عليه السلام.
ففي بعض الليالي نزغ لهم الشيطان فثاروا عليه وضربوه وأسروه

ونتفوا لحيته! وأرادوا قتله، إلا أنهم خافوا من أخيه سهيل.
وفي رواية فساروا حتى انتهوا بالحوأب، اسم موضع لبني كلاب، فوجدوهم عليه فعوت بهم كلابهم، فقالت عائشة رضي الله عنه: ما اسم هذا الموضع؟ قال سائق الجمل: هذا الحوأب! فذكرت ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ردوني لا حاجة لي بهذا المسير.
فقال طلحة والزبير وخمسون رجلا منهم: تالله ما هذا الحوأب!!
فهي أول شهادة زور وقعت في الإسلام.
ثم قدموا البصرة، فمانع عنها عثمان بن حنيف والخزان والموكلون، فوقع بينهم القتال، فقتلوا منهم سبعين رجلا، ثم اصطلحوا، ثم أسروا عثمان وضربوه ونتفوا لحيته، وأرادوا قتله إلا أنهم خافوا من أخيه سهيل (١).

فصل في توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة

قال: بعد مضي أربعة أشهر توجه أمير المؤمنين عليه السلام في سبعمائة

---

(١) ذكر المسعودي في مروج الذهب بعد قدوم القوم إلى البصرة وما فعلوه بعثمان بن حنيف، قال: وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السبابجة، فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح، وخمسون من السبعين ضرب رقابهم صبرا من بعد الأسر، وهؤلاء أول من قتل ظلما في الإسلام وصبرا، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي، وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها.
انظر: مروج الذهب م ٢: ٣٧٧ - ٣٦٧.

راكب، فمنهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، وسبعون بدريا، والباقون من الصحابة (١).
ثم لحق به خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وستمائة رجل من طي، فلما انتهى به المسير إلى الربذة (٢) من الكوفة، قال الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده (٣):
روي عن ابن عباس قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته يخصف نعلا، فقلت له: جعلت فداك، هل علينا إصلاح ما يحتاج إليه من الأمور؟ فلم يجبني، حتى فرغ من خصف النعل، ودفعها إلى صاحبتها، ثم قال: (قومها).
فقلت: ليس لها قيمة.

---

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٣: ٢٢١، قال: قال أبو قتادة الأنصاري لعلي [عليه السلام]: يا أمير المؤمنين إن رسول الله، صلى الله عليه [وآله] وسلم، قلدني هذا السيف وقد أغمدته زمانا وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين [لا] يألون الأمة غشا، وقد أحببت أن تقدمني فقدمني.
وقالت أم سلمة: يا أمير المؤمنين لولا أني أعصي الله وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابن عمي، وهو والله أعز علي من نفسي، يخرج معك ويشهد شاهدك.
(٢) الربذة: قال ياقوت الحموي: وفي كتاب العين: الربذ خفة القوائم في المشي وخفة الأصابع في العمل، والربذات العهون التي تعلق في أعناق الإبل. والربذة من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
معجم البلدان ٣: ٢٤.
(٣) الإرشاد ١: ٢٤٧ - ٢٤٨.

فقال عليه السلام: (على ذلك).
قلت: كسر درهم.
فقال عليه السلام: (والله، إنها أحب إلي من أمركم هذا، إلا أن أقيم حقا أو ادفع باطلا).
فقلت: إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا كلامك، أفتأذن لي أن أتكلم، فإن كان حسنا كان منك، وإن كان غيره فهو مني.
قال: (لا، بل أنا أتكلم)، ثم وضع يده في صدري وكان شثن الكف (١)، فالمني. ثم قال: فأخذت بثوبه.
فقلت: ناشدتك الله والرحم.
قال: (لا تنشدني)، ثم خرج عليه السلام فاجتمع عليه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:
(أما بعد، أيها الناس: فإن الله عز وجل بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم و منجاتهم، أم والله ما زلت في ساقتها ما غيرت ولا بدلت ولا خنت (٢)، حتى تولت بحذافيرها. مالي ولقريش.
أيم الله، لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وأن مسيري

---

(١) شثن كفه: أي خشنت وغلظت، (الصحاح - شثن - ٥: ٢١٤٢).
(٢) في الأصل: حدثت، والصواب كما ورد في الإرشاد.

هذا على عهد إلي فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أم والله، لا بقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته.
ما تنقم منا قريش، ألا وإن الله عز وجل اختارنا من عين خلقه عليهم فأدخلناهم في حيزنا) (١).
ثم إنه عليه السلام أنشد يقول:
ذنب لعمري شريك المحض خالصا * وأكلك بالزبد المقشرة (٢) البجرا (٣)
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن * عليا وحطنا حولك الجرد والسمرا (٤)
قال: فلما انتهى مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى الربذة من الكوفة على طريق الحارة، كاتب عامله بها أبا موسى الأشعري ليستنفر له أهلها، فلم يكن منه إلا أنه ثبتهم على خلافه، حتى أنه قال لهم: إنما هي فتنة. فبلغه ذلك [عليه السلام] فعزله، وأقام عوضه موص بن كعب الأنصاري.
وكتب إليه [عليه السلام]: (اعتزل عن عملنا يا ابن الحياكة مذموما مدحورا).
قال الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده:

---

(١) في الأصل: وادخرهم في خيرتنا، وصوابه كما ورد في الإرشاد.
(٣) المقشرة: الرطب المقشر.
(٣) البجر: جمع بجراء، وهي المنتفخة البطن، يعني التمر الجيد الكبار. لسان العرب ٤: ٤٠.
(٤) الجرد والسمر: يعني الخيل.

روي عبد الحميد بن عوان العجلي، عن سلمة بن سهيل، قال: لما انتهى مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذي قار، بعث ابنه الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر إلى أهل الكوفة، ليستنفرا أهلها، فأتوه بذي قار [أي أهل الكوفة]، فأخذ عليهم البيعة، ثم قام فيهم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس:

(قد جرت علينا أمور صبرنا عليها - وفي أعيننا القذى، وفي القلب شجى - تسليما لأمر الله تعالى فيما امتحن به عبده، رجاء الثواب على ذلك، فكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون، وتسفك دماؤهم، فنحن أهل بيت النبوة، وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحق الناس بسلطان الرسالة، ومعدن الكرامة، التي ابتدأنا الله تعالى بها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١).

يا أهل الكوفة:

إنكم من أكرم المسلمين، [وأصدقهم تقوى] (٢)، وأعدلهم سنة، وأفضلهم سهما في الإسلام، وأجودهم في القرب مركبا ونصابا، أنتم أشد القرب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته، وإنما جئتكم ثقة - بعد الله - بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي

---

(١) الجمعة: ٤.

(٢) في الإرشاد: وأقصدهم تقويما.

(وإقبالهما بعائشة للفتنة). (خرجا محتالان على فساد العباد وإخراب البلاد، ألا وإنهما قد بايعا لي طائعين راغبين مختارين، ثم استأذناني في الذهاب إلى العمرة، فأذنت لهما، فأكثرا القول عليها [أي عائشة]، حتى أخرجاها من بيتها يجرانها كما تجر الأمة عند شرائها، حتى قدما بها البصرة، فحبسا [نساءهم في بيوتهم] (١)، وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لهما ولغيرهما في جيش، فضربوا عاملي بها وأسروه، وخزان بيت مال المسلمين الذي بيدي، وعلى أهل المصر [الذين] كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتتوا شملهم، وفرقوا كلمتهم، وأفسدوا علي جماعتهم، ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم، وطائفة، عضوا على أسيافهم وضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين في الله.
لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم، لحل قتل ذلك الجيش كله، إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، مع ما إنهم قتلوا من المسلمين العدة التي دخلوا بها عليهم.
فالذي قتل من السبابجة أربعمائة رجل، وعزروا بولاتها] (٢).

---

(١) في الأصل: نسائها وبيوتها، وهو تصحيف وقع فيه الناسخ حيث كان يقصد طلحة والزبير.
(١) لم يذكر الشيخ المفيد في الإرشاد نص الخطبة بهذا الشكل وقال في ١: ٢٥٠ [وإقبالهما بعائشة للفتنة، وإخراجهما إياها من بيتها حتى أقدماها البصرة، فاستغووا طغامها وغوغاءها، مع أنه قد بلغها أن أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير].

اللهم، إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي، وألبا الناس علي، فأحلل ما عقدا، ولا تحكم ما أبرما، وأرهما المساءة فيما عملا.
فقال له أهل الكوفة: (يا أمير المؤمنين، إنا نحمد الله عز وجل الذي من علينا برؤياك، وخصنا بجوارك، وجعلنا من شيعتك وأنصارك وأعوانك على أعدائك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم احتسبنا الخير ورجونا الشهادة بين يديك، فطب نفسا وقر عينا بظفرك على أعدائك إن شاء الله تعالى) (١).
قال: فلم يزل الكوفيون وغيرهم يقدمون إليه زمرا، زمرا، وهو عليه السلام مقيم بذي قار.
وصول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه إلى البصرة
ثم توجه بهم إلى البصرة وقام في أصحابه خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال (٢):

---

(١) في الإرشاد ١: ٢٥٠ ثم سكت فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك مع عدوك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه.
فدعا لهم أمير المؤمنين عليه السلام وأثنى عليهم، ثم قال: قد علمتم - معاشر المسلمين - أن طلحة والزبير بايعاني طائعين راغبين، ثم استأذناني في العمرة فأذنت لهما، فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر.
اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس علي، فأحلل ما عقدا، ولا تحكم ما أبرما، وأرهما المساءة فيما عملا.
(٢) الإرشاد ١: ٢٥١.

(أما بعد، أيها الناس:
إن الله عز وجل فرض على عباده الجهاد، وعظمه وجعله نصرة له، والله ما [صلحت] (١) دنيا ولا دين إلا به، ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله، [وشب] (٢) في ذلك وخدع، وقد بانت الأمور (فتمخضت) (٣)
والله ما أنكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم [نصفا] (٤)، ألا وإنهم يطلبون حقا تركوه، ودما سفكوه، ولئن كنت شركتهم فيه إن لهم نصيبهم فيه، ولئن كانوا ولوه [دوني] (٥) [فما تبعتهم إلا قبلهم] (٦)، وإن أعظم حججهم لعلى أنفسهم، وإني لعلى بصيرتي [ما لبست علي] (٧)، وإنها الفئة الباغية [الحمى والحمة] (٨) قد طالت هلبتها (٩) وأمكنت درتها، يرضون أما [فطمت] (١٠)، يجيبون بيعة تركت، ليعود الضلال إلى نصابه.

---

(١) في النسخة: علمت، وهو تصحيف، والصواب كما ورد في الإرشاد.
(٢) في النسخة: وسب.
(٣) في النسخة: فسخط.
(٤) في النسخة سقطت: نصفا، وقد أثبتناها من الإرشاد.
(٥) في النسخة: ديني.
(٦) في النسخة: فما بيعتهم إلا قتلهم، والصواب كما في الإرشاد.
(٧) في النسخة: من أمري كما كتبت علي.
(٨) في الأصل: اللحم والجلد وتفتقد من التصحيفات الناسخ.
(٩) هلب: هو شعر الذنب، وفرس مهلوب: مجزوز الهلب.
(١٠) في النسخة: ما عظمت.

ما أعتذر مما فعلت، ولا أتبرأ مما صنعت، [فيا خيبة للداعي ومن دعا، لو قيل له: إلى من دعواك؟ وإلى من أحببت؟ ومن إمامك؟ وما سننه؟] (١)، إذا لزاح الباطل عن مقامه، ولصمت لسانه فما نطق.
وأيم الله، لأمرطن لهم حوضا أنا [ماتحه] (٢)، لا يصدرون عنه، ولا يلقون [بعده ريا] (٣) أبدا، وإني لراض بحجة [الله عليهم وعذره فيهم، إذ أنا داعيهم] (٤)، فمعذر إليهم فإن تابوا وقبلوا فالتوبة [مبذولة] (٥) والحق مقبول وليس على الله كفران، وإن [أبوا أعطيتهم] (٦) حد السيف، وكفى به شافيا من باطل وناصرا للمؤمنين) (٧).
قال: ولما وصل أمير المؤمنين إلى البصرة، أرسل إلى القوم يناشدهم الله تعالى، ويذكرهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، متعوذا منهم على ما أصروا عليه، فلم يجيبوه لذلك، بل تعصبوا على القتال، فقام عليه السلام في أصحابه خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال عليه السلام:

---

(١) سقطت من النسخة الخطية وأثبتناها من الإرشاد.
(٢) متح: وهو الذي ينزع الدلو، وقد سقطت من النسخة وأثبتناها من الإرشاد.
(٣) في النسخة: معدوما، وصوابة كما في الإرشاد.
(٤) في النسخة: اسألهم وعذرهم فيها إذ أنا فازعتهم، والصواب كما جاء في الإرشاد.
(٥) في النسخة: هذه ولهم، والصواب كما في الإرشاد.
(٦) في النسخة: لم يأتوا تائبين فأعطهم، والصواب كما في الإرشاد.
(٧) انظر الخطبة في: الإستيعاب ٢: ٢٢١، نهج البلاغة ١: ٣٨ / ٩ و ٥٥ / ٢١، ونقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٣٢: ١١٦ ح ٩٣.

(اللهم، إني أستعين بك على قريش، فإنهم [قطعوا] (١) رحمي، (والكفووا إنائي) (٢)، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري (٣)، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فأصبر مغموما (٤)، أو مت متأسفا، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب، ولا مساعد، إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية (٥)، فأغضيت على القذى، وجرعت (٦) ريقي على الشجا، وفي العين قذى، فصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وألم للقلب من وحز (٧) الشفار) (٨).

ومن كلامه عليه السلام حين وصوله إلى البصرة، يحرض أصحابه على

---

(١) في نهج البلاغة [قد قطعوا].
(٢) في الغارات: وأصغروا إنائي، وصغروا عظيم منزلتي.
(٣) في الغارات: فسلبونيه ثم.
(٤) في الغارات: كمدا متوضحا، أو متأسفا حنقا.
(٥) في الغارات: عن الهلاك.
(٦) في الغارات: تجرعت.
(٧) في الأصل: خز، وفي الغارات: حز، وهي قريبة للمعنى، الشفار: السكين الحارة.
(٨) انظر: شرح نهج البلاغة ٣: ٣٦، الغارات: ٣٠٤ - ٣٠٥، بحار الأنوار ٣٣: ٦٩.
جاء في الغارات بأن هذه رسالة علي عليه السلام إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر وهي طويلة راجعها في الغارات. وابن أبي الحديد في شرح النهج فقال: إنها خطبة للإمام عليه السلام بعد مقتل محمد بن أبي بكر.
لذا فإنها سواء كانت رسالة أم خطبة فهي ليس لها علاقة بوقعة الجمل، وإذا كان ذلك في سبب قتل محمد بن أبي بكر فيظهر من هذا أنها بعد وقعة صفين، فهذا اشتباه وقع فيه المصنف.

الجهاد (١):
(عباد الله، انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم لقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي، وأخرجوا عثمان (٢) بن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح، والعقوبة الشديدة، وقتلوا السبابجة (٣)، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي (٤)، وقتلوا رجالا صالحين.
ثم اتبعوا من نجا منهم، يأخذونه من كل حائط، ومن تحت كل راية. [ثم يأتون بهم] (٥) فيضربون رقابهم صبرا، [فيستحلون أموالهم] (٦)، ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.
انهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم، وألقوهم وأنتم صابرون محتسبون، ليعلموا (٧) أنكم منازلوهم ومقاتلوهم، وقد وطنتم أنفسكم

---

(١) الإرشاد: ١٣٤، بحار الأنوار ٣٢: ١٧١ ح ١٣١.
(٢) في الإرشاد: ابن حنيف عاملي.
(٣) السبابجة: قوم صالحون كان أمير المؤمنين عليه السلام سلم بيت المال بالبصرة إليهم، فكبسهم أصحاب الجمل وقتلوهم وذلك بعد معاهدتهم ألا يقتلوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قال الجوهري في (الصحاح) ١: ٣٢١ السيابجه: قوم من السند كانوا جلاوزة بالبصرة وأصحاب سجن، والهاء للنسبة والعجمة، وأصل الكلمة سياه بجكان.
(٤) في الأصل: غيلة العبدي، وصوابه كما في الإرشاد.
(٥) سقطت من الأصل وأثبتت من الإرشاد.
(٦) سقطت من الإرشاد.
(٧) في الإرشاد: تعلمون.

على الطعن الدعسي (١) والضرب الطلخفي (٢)، ومبارزة الاقران.
وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلا، فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله).
ثم قال عليه السلام: (أيها الناس:
إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على قتيل ولا جريح، ولا تقتلوا أسيرا، ولا تطلبوا موليا، ولا تتبعوا مدبرا، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا سترا، ولا تربوا شيئا من أموالهم، إلا أن تجدوه في معسكرهم من سلاح أو كراع وعبيد وإماء، وأما ما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على ما في كتاب الله عز وجل) (٣).
قال المسعودي (٤):
ذكر عن المنذر أنه ساق الحديث حتى قال: وكان دخول أمير المؤمنين عليه السلام البصرة مما يلي الطف، فأتى الزاوية (٥)، فخرجت أنظر

---

(١) الطعن الدعسي: الطعن الشديد. انظر لسان العرب ٦: ٨٣.
(٢) الضرب الطلخفي: الشديد من الطعن والضرب. المصدر السابق ٩: ٢٢٣.
(٣) مروج الذهب م ٢: ٣٧١.
(٤) مروج الذهب م ٢: ٣٦٨ - ٣٧٠.
(٥) الزاوية: بلفظ زاوية البيت، عدة مواضع، منها: قرية بالموصل من كورة بلد. والزاوية: موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، قتل فيها خلق كثير من الفريقين، وذلك في سنة ٨٣ ه. انظر: معجم البلدان ٣: ١٢٨.

إلى القوم (١)، فرأيت موكبا نحو ألف فارس، يقدمهم فارس [ومعه راية] (٢) على فرس اشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلدا بسيف، وإذا أنا بتيجان القوم غالبها بيض وصفر، مدججين في السلاح والحديد،
فقلت: من هذا؟
فقيل لي: هذا أبو أيوب الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء الذين معه الأنصار وغيرهم.
ثم تلاه فارس ثان عليه عمامة صفراء وثياب بيض، متقلدا بسيف (متنكبا قوسا) (٣) على فرس أشقر، بيده راية، معه نحو ألف فارس.
فقلت: من هذا؟
فقيل: لي هذا خزيمة ذو الشهادتين (٤).

---

(١) سقطت من الأصل ووردت في مروج الذهب.
(٢) قال الشيخ المفيد: حدثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن غياث بن كلوب، عن إسحاق بن عمار، عن جعفر بن محمد عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا من أعرابي فأعجبه، فقام أقوام من المنافقين حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أخذه منه، فقالوا للأعرابي: لو تبلغت به إلى السوق بعته بأضعاف هذا، فدخل الأعرابي الشره، فقال: ألا أرجع فأستقيله؟
فقالوا: لا، ولكنه رجل صالح، فإذا جاءك بنقدك فقل: ما بعتك بهذا! فإنه سيرده عليك، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخرج إليه النقد، فقال: ما بعتك بهذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي بعثني بالحق لقد بعتني بهذا. فقام خزيمة بن ثابت فقال: يا أعرابي اشهد لقد بعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الثمن الذي قال. فقال الأعرابي: لقد بعته وما معنا من أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخزيمة: كيف شهدت بهذا؟. فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي تخبرنا عن الله وأخبار السماوات فنصدقك، ولا نصدقك في ثمن هذا. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين فهو ذو الشهادتين. انظر: الاختصاص: ٥٨.

ثم مر بنا فارس ثالث على فرس كميت، متعمما بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء، عليه قباء مصقول، متقلدا بسيف، متنكبا قوسا، معه نحو ألف فارس، وبيد راية.

فقلت: من هذا؟

فقيل لي: هذا أبو قتادة بن ربعي الأنصاري.

ثم مر بنا فارس رابع (١)، شديد الأدمة، على فرس اشهب، عليه سكينة ووقار، رافعا صوته بتلاوة القرآن المجيد، بيده راية بيضاء، وعليه عمامة سوداء، وثياب بيض، متقلدا بسيف، متنكبا قوسا، معه نحو ألف فارس مختلفي التيجان، حوله شيوخ وكهول وشبان [كأنما قد أوقفوا للحساب] (٢) جباههم مسودة من أثر السجود.

فقلت: من هذا؟

فقيل لي: هذا عمار بن ياسر الأنصاري، والذين معه من المهاجرين والأنصار.

ثم مر بنا فارس خامس (٣)، على فرس أشقر، على رأسه قلنسوة

---

(١) في مروج الذهب: آخر.

(٢) سقطت من الأصل، وهكذا وردت في مروج الذهب.

(٣) في مروج الذهب: آخر.

عليها عمامة صفراء، وعليه ثياب بيض، متقلدا بسيف، متنكبا فرسا، تخط رجلاه الأرض، معه ألف فارس فارس مختلفي التيجان غالبها الصفرة والبياض، ومعه راية صفراء.
فقلت: من هذا؟
فقيل لي: هذا قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وهؤلاء الذين معه الأنصار وغيرهم من قحطان.
ثم مر بنا فارس سادس (١) على فرس أشهل (٢) ما رأينا مثله، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء سدلها (٣) بين يديه ومن خلفه، وبيده لواء [ومعه نحو ألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] (٤) فقلت: من هذا؟
فقيل لي: هذا عبد الله بن العباس.
ثم تلاه موكب سابع (٥)، يقدمهم فارس أشبه الناس بمن [قبله] (٦).
فقلت: من هذا؟
فقيل لي: هذا [قثم بن العباس، أو معبد بن العباس] (٧).

---

(١) لم ترد في مروج الذهب.
(٢) أشهل: هو أشهل العين، وفي عينه شهلة: يشوب سوادها زرقة.
(٣) سدل الثوب سدلا: أرخاه.
(٤) لم ترد في مروج الذهب.
(٥) في مروج الذهب: آخر.
(٦) في مروج الذهب: أشبه الناس بالأولين.
(٧) في الأصل العبارة غير واضحة، وهكذا وردت في مروج الذهب.

ثم مر بنا موكب تاسع (١)، فيه خلق عظيم، مكملين بالسلاح والحديد، مختلفي التيجان والرايات، تقدمهم راية كبيرة عظيمة، في أولهم فارس، كأنما قد [كسر وجبر] (٢)، كأن على رؤوسهم الطير، فعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن شماله (٣) مثله، وبين يديه شاب ليس هو ببعيد منهما.

فقلت: من هؤلاء؟

فقيل لي: أما الأوسط فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وما الشاب الذي على يمنيه ابنه الحسن عليه السلام، والذي عن شماله ابنه الحسين عليه السلام، وأما الذي بين يديه حامل الراية فابنه محمد بن الحنفية (٤).

فساروا حتى نزلوا بالزاوية، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام أربع ركعات، ثم عفر خديه على التراب وخالطهما بدموعه، ثم رفع رأسه يقول: (اللهم رب السماوات وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت،

---

(١) لم ترد في الأصل.

(٢) قال المسعودي في مروج الذهب ٣: ٣٦٩: قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر.

(٣) في مروج الذهب: عن يساره.

(٤) في مروج الذهب: قيل: هذا علي بن أبي طالب، وهذا الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى.

ورب العرش العظيم، هذه البصرة، فأسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها، اللهم، أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين.
اللهم، إن هؤلاء القوم، [قد بغوا علي، وخالفوا طاعتي] (١)، ونكثوا بيعتي.
اللهم، احقن دماء المسلمين).
ثم إنه عليه السلام بعث إليهم يناشدهم، فأبوا إلا الحرب لقتاله!!
فبعث إليهم مرة ثانية رجلا من أصحابه يقال له مسلم (٢) بمصحف

---

(١) في مروج الذهب: قد خلعوا طاعتي، وبغوا علي.
(٢) روى شيخنا المفيد (علا الله مقامه) في مصنفاته ١: ٣٣٩، [إن أمير المؤمنين عليه السلام] قال: (من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة؟). فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء أبيض حدث السن من عبد القيس يقال مسلم كأني أراه. فقال: أنا أعرضه عليهم يا أمير المؤمنين وقد احتسبت نفسي عند الله تعالى. فأعرض عنه إشفاقا عليه، ونادى ثانية: (من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنه مقتول وله الجنة؟). فقام مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه.
فأعرض ونادى ثالثة فلم يقم غير الفتى، فدفع إليه المصحف وقال: (امض إليهم واعرضه وادعهم إلى ما فيه).
فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله عز وجل وأمير المؤمنين عليه السلام يدعوكم إلى ما فيه. فقالت عائشة: أشجروه بالرماح قبحه الله! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب، وكانت أمه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرته من موضعه، ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرحوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأمه تبكي وتندبه وتقول.. الشعر.

يدعوهم إلى كتاب الله عز وجل، فرموه بالسهام حتى قتلوه، فحمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام قتيلا، فقالت أمه فيه هذه الأبيات شعرا (١):

يا رب إن مسلما أتاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم (٢) * وأمه قائمة تراهم

ثم جاء عبد الله بن مدمل بأخيه مقتولا، وجئ برجل آخر من الميسرة مذبوحا فيه سهم، فقال عليه السلام:

(اللهم، اشهد غدر القوم).

فمضى إليهم عمار بن ياسر رضي الله عنه (٣) حتى وقف بين الصفين، وقال:

---

(١) مروج الذهب م ٢: ٣٧٠.

(٢) في رواية الشيخ المفيد: قناهم وزاد فيه: تأمرهم بالقتل لا تنهاهم. انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٤٠.

(٣) في رواية عن عبد الله بن زياد مولى عثمان بن عفان قال: خرج عمارة بن ياسر يوم الجمل إلينا، فقال: يا هؤلاء على أي شئ تقاتلونا؟ فقلنا: نقاتلكم على أن عثمان قتل مؤمنا. فقال عمار: نحن نقاتلكم على أنه قتل كافرا.
قال: وسمعت عمارا يقول: والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنكم على الباطل. وسمعته يقول: والله ما نزل تأويل هذه الآية إلا اليوم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال: ولما جال الناس تلك الجولة قتل بينهم خلق كثير، وسمعت أصوات السيوف في الرؤوس كأنها مخاريق. قال الراوي: والله لقد مررت بعد الوقعة بالبصرة فدنوت من دير القصارين فسمعت أصوات الثياب على الحجارة فشبهتها بالأصوات التي كانت من السيوف على الرؤوس يومئذ، وفي تلك الجولة قتل ظريف بن عدي بن حاتم، وفقئت عين عدي. انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ٢: ٣٦٦، الطبري ٤: ٥٢٥، شرح نهج البلاغة ١٤: ٢٤٨.

أيها الناس، ما أنصفتم نبيكم صلى الله عليه وسلم، حين كففتم عقايلكم في بيوتكم، وأبرزتم عقيلته للسيوف، ثم إنه دنا من عائشة رضي الله عنه وهي في هودجها، فقال لها:

يا أم المؤمنين ما تريدين بهذا الموقف؟

قالت: طالبة لدم عثمان رضي الله عنه.

قال: قتل الله تعالى الباغي في هذا اليوم، والطالب للباطل بغير الحق.

أيها الناس: أتعلمون أينا الممالي في قتل عثمان، فرشقوه بالنبل، فرجع وهو يقول:

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

أشار بقوله هذا إليها، حيث قالت: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا (١)!!

---

(١) ذكر ابن الأثير قال: وكان سبب اجتماعهم بمكة أن عائشة خرجت إليها، وعثمان محصور، ثم خرجت من مكة تريد المدينة، فلما كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له عبيد بن أبي سلمة، وهو ابن أم كلاب، فقالت له: مهيم؟ قال: قتل عثمان وبقوا ثمانية. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: اجتمعوا على بيعة علي. فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه! فقال لها، ولم؟ والله إن أول من حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول.

فقال لها ابن أم كلاب: فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام * وقلت لنا إنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها وما * من وفى مثل من قد غدر

انظر: الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦.

فلما أتى إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له: جعلت فداك، انظرني أمرك واجمع أصحابك وأنصارك، فإنه ليس لك عند القوم إلا الحرب.
فقال عليه السلام لأصحابه:
(أيها الناس: صافوهم ولا تبدوهم البراز، ولا ترموهم بالسهام، ولا تضربوهم بالسيف، ولا تطعنوهم بالرماح، حتى يبدوكم فإذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيرا، ولا تتبعوا موليا، ولا تقبلوا شيئا من أموالهم، إلا ما تجدونه في معسكرهم من كراع أو سلاح أو عبيد أو إماء، وما عدا ذلك فهو ميراث لورثتهم) (١).

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٧١.

مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام الزبير بن العوام (١)
ثم إنه عليه السلام خرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونادى بالزبير بن العوام، فجاءه مكملا بالسلاح.
فقالت عائشة رضي الله عنه: واحزنك يا أسماء!
فقيل لها: إن عليا عليه السلام خرج حاسرا من السلاح، فطمأنت نفسها.
فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما.
فقال أمير المؤمنين عليه السلام له: يا أبا عبد الله، إنما دعوتك لأذكرك حديثا قال لي ولك رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتذكر يوما رآك [أي رسول الله صلى الله عليه وسلم] وأنت تعنقني في بني عوف، إذ قال لك: أتحب يا زبير عليا؟

---

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل ٣: ٢٣٩، قال: فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، وخرج طلحة فخرج إليهما علي [عليه السلام] حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي [عليه السلام]: لعمري قد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا، فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما، فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال: طلحة: ألبت على عثمان. قال [عليه السلام]: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق. يا طلحة، تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان! يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت! أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي فقال [عليه السلام] للزبير: يا زبير ما أخرجك؟ قالت: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا ولي به منا.

فقلت: أي والله إني لأحبه، وما يمنعني يا رسول الله عن حبه وهو أخي وابن خالي.
فقال صلى الله عليه وسلم لك: إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له!
قال: بلى، قد كان ذلك!
فقال عليه السلام: أنشدك الله ثانيا، يوم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند بني
عوف وأنت معه آخذ بيدي، فاستقبلته وسلمت عليه، فضحك في وجهك، وضحكت إليه، فقلت له:
يا رسول الله، لا يدع ابن أبي طالب زهوه.
فقال صلى الله عليه وسلم لك: يا زبير ليس بعلي زهو، ولتخرجن عليه وتحاربه وأنت ظالم له.
قال: اللهم، نعم لقد كان ذلك، ولكني نسيت وما ذكرتني إنسانية الدهر!! ولو ذكرته لما خرجت عليك.
فكيف أرجع وقد التقت حلقتا البطان، والله إن هذا هو العار الذي ليس له مثيل.
فقال عليه السلام: يا زبير ارجع، قبل أن تجمع العار والنار.
قال: إذن، لأمضين وأنا أستغفر الله تعالى، فكر راجعا وهو يقول هذه الأبيات شعرا (١):
اخترت عارا على نار مؤججة [إلى خلق بها قوم من الطين] (٢)

---

(١) مروج الذهب م ٢: ٣٧٢.
(٢) في مروج الذهب: ما إن يقوم لها خلق من الطين.

نادى علي بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت: حسبك من عذل أبا حسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني
فقالت له عائشة رضي الله عنه: ما خلفت وراءك يا با عبد الله؟
قال: والله، ما وقفت موقفا، ولا شهدت مشهدا في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري، فما كدت أن أبصر موضع قدمي.
وقال له ابنه عبد الله: يا أبت لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي مضيت به عنا.
قال: نعم والله، لقد ذكرني علي [عليه السلام] حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أنسانيه الدهر فلا حاجة لي في محاربته أبدا. فرجعت مستغفرا لله عز وجل، وتاركككم منذ اليوم، فيفعل الله ما يشاء.
قال: بلى، إني أراك فررت من عيون بني هاشم حين رأيتها تحت المغافر، وبأيديهم سيوف حداد، وتحملها فتية أمجاد.
قال: ويلك، يا بني أتهيجني على حربه، أما إني قد حلفت أن لا أحاربه (١).

---

(١) روى الحارث بن الفضل عن عبد الله الأغر، إن الزبير بن العوام قال لابنه يومئذ: ويلك، لا تدعنا على حال، أنت والله قطعت بيننا وفرقت إلفتنا بما بليت به من هذا المسير، وما كنت متوليا من ولي هذا الأمر وأقام به، والله لا يقوم أحد من الناس مقام عمر بن الخطاب فيهم فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب، وإن سرنا بسيرة عثمان قتلنا، فما أصنع بهذا المسير، وضرب الناس بعضهم بعضا.
فقال له عبد الله ابنه: أفتدع عليا يستولي على الأمر؟ وأنت تعلم أنه كان أحسن أهل الشورى عند عمر بن الخطاب، ولقد أشار عمر وهو مطعون يقول لأصحابه أهل الشورى: ويلكم أطمعوا عليا فيها لا يفتق في الإسلام فتقا عظيما ومنوه حتى تجمعوا على رجل سواه. انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٢٨٩.

فقال: كفر عن يمينك، لئلا يتحدثن نساء قريش، أنك جبنت، وما كنت بجبان.
قال: صدقت إذا، فغلامي مكحول هو حر كفارة عن يميني (١).
ثم إنه نصل سنان رمحه، وكر راجعا.
فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أفرجوا له، فإنه محرج.
فلم يزل يجول في المعركة يمينا وشمالا، يشق الصفوف، حتى أتى وادي السباع، ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل مرة ثانية وثالثة، فقال

---

(١) فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي:
لم أر كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفر الإيمان
انظر: الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٠.
وقال همام الثقفي في فعل الزبير وما فعل وعتقه عبده في قتال علي عليه السلام:
أيعتق مكحولا ويعصي نبيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق
أينوي بهذا الصدق والبر والتقى سيعلم يوما من يبر ويصدق
لشتان ما بين الضلالة والهدى وشتان من يعصي النبي ويعتق
ومن هو في ذات الإله مشمر يكبر برا وبه يصدق
أفي الحق أن يعصي النبي سفاهة ويعتق من عصيانه ويطلق
كدافق ماء للسراب يؤمه ألا في ضلال ما يصب ويدفق
انظر: نهج البلاغة ١: ٢٣٤. بشارة المصطفى: ٢٤٧. بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٥.

لابنه: ويلك، أترى ما فعلت، أهذا جبن؟
قال: حاشا، لقد أعذرت بما فعلت.
قال [المصنف في رواية أخرى]:
فلما خرج أمير المؤمنين عليه السلام لطلب الزبير، خرج حاسرا والزبير دارعا مدججا.
فقال له عليه السلام: يا أبا عبد الله، لعمري لقد أعددت سلاحا وجندا، فهل أعددت لله عز وجل بعذر؟
قال: إن مردنا إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء.
فقال عليه السلام: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين (١).
فكر عنه راجعا نادما (٢)، ورجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحابه فرحا مسرورا.
فقالوا له: يا أمير المؤمنين، أتبرز إلى الزبير حاسرا وهو مستعد بالسلاح، ألست تعلم بشجاعته؟
قال: بلى، ولكنه ليس بقاتلي، وإنما يقتلني رجل خامل الذكر غيلة.

---

(١) النور ٢٤: ٢٥.
(٢) وقيل: إنما عاد الزبير عن القتال لما سمع أن عمار بن ياسر مع علي [عليه السلام]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية). انظر: الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٠.

مقتل الزبير بن العوام

قال [المصنف]:

ولما انصرف الزبير إلى وادي السباع (١)، وكان به الأحنف بن قيس في جمع من بني تميم، فأخبر به فرفع صوته، وقال: ما معشر بني تميم هذا الزبير بن العوام فما أصنع به؟ أما إنه أحق بالقتل.

---

(١) وادي السباع: جمع سبع، الذي قتل فيه الزبير بن العوام، بين البصرة ومكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال. معجم البلدان ٥: ٣٤٣.

ذكر الشيخ المفيد رضي الله عنه بعض ما روي في قتل الزبير بن العوام، فقال: روى المفضل بن فضالة عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، قال: هرب الزبير على فرس له يدعى (ذا الحمار) حتى وقع بسفوان، فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي، وابن مطرح السعدي، فقالا له: يا حواري رسول الله [صلى الله عليه وسلم] أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد، فأقبل معهما فهو يسير مع الرجلين إذ أتى الأحنف بن قيس برجل فقال: أريد أن أسر إليك سرا ادن مني، فدنا منه، فقال: يا هذا الزبير قد هرب وإني رأيته بين رجلين من بني مجاشع ومنقر أظنه يريد التوجه إلى المدينة. فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع إن كان الزبير قد ألقى الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا، ثم هو يريد أن يرجع إلى أهله إلى المدينة سالما، فسمعه ابن جرموز فنهض ومعه رجل يقال له فضالة بن محابس، وعلما أن الأحنف إنما رفع صوته يذكر ابن الزبير لكراهته أن يسلم وإيثاره أن يقتل، فاتبعاه جميعا، فلما رآهما من كان مع الزبير، قالوا له: هذا ابن جرموز، وإنا نخاف عليك. فقال لهم الزبير: أنا أكفيكم ابن جرموز وأنتم اكفوني ابن محابس، فحمل عمير على الزبير وعطف عليه، وقال يا فضالة أعني فإن الرجل قاتلي، فأعانه وحمل ابن جرموز فقتله وأحتز رأسه.

انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٨٧.

قالوا: بلى والله، فركب فرسه في ألف فارس، وتبعه عمرو بن جرموز، [و] كان مشهورا [بالفروسية] والشجاعة، فوقف له الزبير وقال: ما شأنك؟
قال: جئت لأسألك عن أمر الناس.
قال: تركتهم قياما في الركب، يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف! فسارا معا يتحدثان، وكل واحد على حذر من صاحبه حتى دخل وقت الصلاة.
فقال الزبير: يا هذا أنا نريد أن نصلي.
قال: أحسنت فيما تقول، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، وقد أردت أن أقول لك ذلك.
قال: أفتؤمنني وأومنك.
قال: نعم.
فحولا عن خيلهما، وأسبغا الوضوء، وقام الزبير للصلاة فشد عليه عمرو بن جرموز فقتله، وجز رأسه، وانتزع خاتمه وسيفه، وحثا عليه التراب، وأتى بهم إلى الأحنف بن قيس.
فقال له: والله ما أدري بك، هل أسأت أم أحسنت؟ ولكن اذهب بهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأخبره بخبرك، فمضى إليه وأخبره.
فقال عليه السلام له: (أنت قتلته؟)
قال: نعم.
قال [المصنف رحمه الله]:

وفي كثير من الروايات أنه لم يأته بالرأس.
فقال عليه السلام: (والله ما كان ابن صفية جبانا ولا لئيما، ولكن الحين ومصارع السوء) (١). ثم قال عليه السلام: (ناولني سيفه) فناوله إياه، فأخذه وهزه، ثم قال عليه السلام:
(أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار).
وقال في حديث آخر: (الزبير وقاتله في النار).
فخرج ابن جرموز خائبا وهو يقول هذه الأبيات شعرا (٢):
أتيت عليا برأس الزبير * أبغي به عنده الزلفه
فبشر بالنار يوم الحساب * فبئس بشارة ذي التحفة
فقلت له إن قتل الزبير * لولا رضاك من الكلفه
فإن ترض ذاك فمنك الرضا * ولا فدونك لي حلفه
ورب المحلين والمحرمين * ورب الجماعة والالفه
لسيان عندي قتل الزبير * وضرطة عنز بذي الجحفة
ثم إن عمرو بن جرموز مضى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وخرج عليه مع أهل النهروان، فقتل مع من قتل منهم.
وفي رواية قال [المصنف رحمه الله]:

---

(١) طبقات ابن سعد ٣: ١١٠، العقد الفريد ٤: ٣٢٣، الفصول المختارة: ١٠٨.
(٢) مروج الذهب م ٢: ٣٧٣.

فبرز له عمرو بن جرموز فقتله، وقيل الأحنف بن قيس، فقال
عمرو بن جرموز في قتله له هذه الأبيات:
أتيت عليا برأس الزبير * أبغي به عنده الزلفه
فبشر بالنار يوم الحساب * وبشرت بشارة ذي التحفة
لشتان عندي قتل الزبير * وضرطة نمر بذي الجحفة
مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام طلحة بن عبيد الله
ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام استدعى طلحة بن عبيد الله، فقال له: إنما
دعوتك يا أبا عبد الله لأذكرك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما سمعته
يقول:
(اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من
خذله؟)
وأنت أول من بايعني، ثم نكثت بيعتك لي، وقد قال الله تعالى
فمن نكث فإنما ينكث على نفسه (١) فقال: أستغفر الله، وكان أمر
الله قدرا مقدورا.
فرجع وهو يقول هذه الأبيات (٢):
ندمت وظل لحمي ولهفي * مثل لهف أبي وأمي
ندمت ندامة الكسعي طلبت * رضا بني جرم بزعمي

---

(١) الفتح: ١٠.
(٢) مروج الذهب م ٢: ٣٧٤.

قال [المصنف رحمه الله]:
ثم برز فقلته مروان بن الحكم (١)، فقال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أراه صريعا تحت بطون الكواكب، والله إنه لقد كان كما قال الشاعر: (٢)

---

(١) ذكر الشيخ المفيد (أعلا الله مقامه) عدة روايات في قضية مقتل طلحة بن عبيد الله، قال رحمه الله: وروى إسماعيل بن عبد الملك، عن يحيى بن شبل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: حدثني أبي علي زين العابدين عليه السلام، قال: قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا، قلت: والله لأدركن ثأري ولأفوزن منه الآن، فرميت طلحة فأصبت نساه فجعل الدم ينزف، فرميته ثانية فجاءت به، فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات.
وروى ابن سليمان، عن ابن خيثمة قال: قال عبد الملك بن مروان يوما وقد ذكر عثمان وقتل طلحة: ولولا أبي قتله لم يزل في قلبي جرحه إلى اليوم.
وقال عبد الملك: سمعت أبي يقول: نظرت إلى طلحة يوم الجمل وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا عينيه، فقلت: كيف لي به؟ فنظرت إلى فتق في درعه فرميته فأصبت نساه فقطعته، فأني أنظر إلى مولى له يحمله على ظهره موليا فلم يلبث أن مات.
وروى أبو سهل عن الحسن، قال: لما رمي طلحة ركب بغلا، وقال لغلامه: التمس لي مكانا أدخل فيه. فقال الغلام: ما أدري أين أدخلك. فقال طلحة: وما رأيت كاليوم أضيع من دم شيخ مثلي. وقال الحسن وكان أمر الله قدرا مقدورا.
قال الشيخ المفيد: فهذه الأخبار مختصرة صحيحة في مقتل طلحة بن عبيد الله طريقها من العامة من أوضح طريق، وسندها أصح أسانيد، وليس بين فيها اختلاف، وكل ما يدل أن طلحة قتل وهو مصر على الحرب غير نادم ولا مرعو عن ذلك وفاقا لمذهب الحشوية، وخلافا لمذهب المعتزلة، وشاهدا ببطلان ما ادعوه من توبته.
انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٨٣، ٣٨٤.
(٢) مروج الذهب م ٢: ٣٧٣.

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * إذا ما هو استغنى ويبعد الفقر
كان الثريا علقت بجبينه وفي * خده الشعرا وفي جبينه البدر

نشوب القتال بين الفريقين

قال المسعودي (١): وذكره ابن أبي الحديد، أن أصحاب الجمل حملوا على ميمنة عسكر أمير المؤمنين عليه السلام حتى كشفوها على الميسرة، فأتى بعض ولد عقيل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فوجده [يخصف نعلا] (٢)، فقال له: يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: (اسكت يا ابن أخي، إن لعمك يوما لا يعدوه (٣)، والله لا يبالي عمك [وقع على الموت أم الموت وقع عليه] (٤)،

قال: جعلت فداك، إن القوم قد بلغت من القوم مرادها من ميمنتك حتى كشفتها على الميسرة بحيث لم تر، [وأنت جالس تخصف نعلا] (٥).

فقال عليه السلام: اسكت يا ابن أخي، إن لعمك يوما لا يتعداه، والله لا

---

(١) مروج الذهب م ٢: ٣٧٥.
(٢) في مروج الذهب: يخفق نعاسا على قربوس فرسه.
(٣) في النسخة الخطية: لا بعده والصواب كما أثبت من مروج الذهب.
(٤) في النسخة: على فرسه من سرجه، وهذا تصحيف ربما من الناسخ والصواب كما ذكره المسعودي.
(٥) في مروج الذهب: وأنت تخفق نعاسا.

يبالي عمك أوقع على الموت أو الموت وقع عليه.
ثم إنه عليه السلام بعث إلى صاحب الراية، وهو ولده محمد بن الحنفية (١)، يأمره أن يحمل على القوم، فأبطأ بالحملة عليهم، وكان بإزائه [قوم من الرماة قد نفذت سهامهم] (٢).
فأتاه عليه السلام وقال له: (لم لا حملت على القوم؟).
قال: لم أجد متقدما [إلا الرماة، وقد نفدت سهامهم] (٣).
فضربه بقائم سيفه، وقال: [ما أدركك عرق من أبيك] (٤) أحمل بين الأسنة، [فإن الموت عليك جنة] (٥)...
فحمل حتى شبك بين الرماح والسهام، وقد أخذ منه الراية وحمل علي عليه السلام على القوم.
وطاف بنو ضبة بالجمل وهم يرتجزون بهذه الأبيات (٦):

---

(١) كان لمحمد يوم البصرة عشرون سنة لأن ولادته سنة ١٦ للهجرة، وتوفي سنة إحدى وثمانين عن خمس وستين سنة.
انظر: تذكرة الخواص: ١٦٩، البداية والنهاية ٩: ٣٨.
(٢) في مروج الذهب: قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم.
(٣) في مروج الذهب: إلا على سهم أو سنان، وإني منتظر نفاد سهامهم وأحمل.
(٤) في مروج الذهب: أدركك عرق من أمك.
(٥) في مروج الذهب: فإن الموت أحب إليك من.
(٦) ذكر المسعودي في مروج الذهب م ٢: ٣٧٥، وطافت بنو ضبة بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون:
نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * ننازل الموت إذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل ننعي * ابن عفان بأطراف الأسل
والموت أحلى عندنا من العسل

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * ردوا علينا شيخنا ثم حبل
عثمان ردوه علينا بأطراف الأسل * الموت أحلى عندنا من العسل
وكانوا بنو ضبة سبعين رجلا، فكلما لزم خطام الجمل رجل منهم قطعت يداه (١)، حتى لم يبق منهم أحد وعرقب الجمل، ولم يقع حتى قطعت قوائمه الأربع، فأخذوه بالسيوف قطعا، وكان المعرقب له أبو جعدة بن غوبة الأنصاري.
فمن قتل عنده محمد بن طلحة السجاد (٢)، قتله عاصم بن الغيث،

---

(١) قال المسعودي: قطع على خطام الجمل سبعون يدا، من بني ضبة منهم سعد بن سود القاضي متقلدا مصحفا، كلما قطعت يد واحد منهم فصرع قام آخر فأخذ الخطام وقال: أنا الغلام الضبي.
وذكر ابن الأثير: ربيعة العقيلي من أصحاب الإمام علي عليه السلام برز إلى العدوي بعد أن تولى زمام الجمل، فبرز له العقيلي وهو يقول:
يا أمنا أعق أم نعلم * والأم تغذو ولدا وترحم
ألا ترين كم شجاع يكلم * وتحتلى منه يد ومعصم
انظر: الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٨.
(٢) ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٣: ٢٤٩، وكان ممن أخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة، وقال: يا أمتاه مريني بأمرك. قالت: آمرك أن تكون خير بني آدم إن تركت، فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه، وقال: حاميم لا ينصرون، واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله، المكعبر الأسدي، والمكعبر الضبي، ومعاوية بن شداد، وعفار السعدي النصري، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول:
وأشعث قوام بآيات ربه * قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شئ غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وطلحة بن عبد الله.
قال [المصنف رحمه الله]:
فجاء خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: جعلت فداك، لا تنكس رأس محمد، فأردد الراية إليه، فدعاه وردها عليه، فأخذها وقال:

أطعن بها طعن أبيك تحمد * لا خير في الحرب إذ لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

قال: والذي قتل من أصحاب الجمل ستة عشر ألف وسبعمائة وسبعون رجلا (١)، والذي قتل من أصحاب أمير المؤمنين أربعة آلاف رجل وقيل إن عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل، فصرخت به عائشة رضي الله عنها

---

(١) ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الأذن، فسألته عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم تنصرف إلا ونحن رواء
أطعنا بني تيم لشقوة جدنا * وما تيم إلا أعبد وإماء

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت؟ قل لا إله إلا الله، فقال: يا ابن اللخناء، إياي تأمر بالجزع عند الموت؟ فوليت عنه متعجبا منه، فصاح لي ادن مني ولقني الشهادة، فصرت إليه، فلما قربت منه استدناني، ثم التقم أذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرت إلى أمك فقالت من فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين.
انظر: مروج الذهب م ٢: ٣٧٩.

خل عن الخطام ودونك القوم، خلاه والتقى بمالك النخعي
الأشتر، فاعتركا مليا حتى سقطا إلى الأرض، فعلاه مالك بالسيف، فلم يجد له سبيلا إلى قتله، وعبد الله ينادي من تحته:
اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي.
فلم يجبه أحد، ولا أحد يعلم من الذي يعنيه لشدة اختلاط الناس ببعضهم، وثور النقع، فلو قال اقتلوني ومالك الأشتر، لقتلا جميعا (١)، فقال مالك هذه الأبيات (٢):

أعايش لولا أنني كنت طاويا * ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه * كوقع الضياحي اقتلوني ومالكا
فنجاه مني أكله (٣) وشبابه * وأني شيخ لم أكن متماسكا

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٥١.
(٢) ذكره الشيخ المجلسي في بحار الأنوار ٣٢: ١٩٢، وزاد فيه
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه خدب عليه في العجاجة باركا
وذكر المناسبة التي قال فيها مالك الأشتر هذه الأبيات، قال:
فلما وضعت الحرب أوزارها، ودخلت عائشة إلى البصرة، دخل عليها عمار بن ياسر ومعه الأشتر، فقالت: من معك يا أبا اليقظان؟ فقال: مالك الأشتر.
فقالت: أنت فعلت بعبد الله ما فعلت؟ فقال: نعم ولولا كوني شيخا كبيرا وطاويا لقتلته وأرحت المسلمين منه. قالت: أوما سمعت قول النبي (صلى الله عليه وآله): إن المسلم لا يقتل إلا عن كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل النفس التي حرم الله قتلها؟
فقال: يا أم المؤمنين على أحد الثلاثة قاتلناه، ثم أنشد الشعر.
انظر: بحار الأنوار ٣٢: ١٩١.
(٣) في الأصل: سيفه والصواب كما ورد في بحار الأنوار.

ولما سقط الجمل بالهودج، انهزم القوم عنه، فكانوا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (١).
فجاء محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وادخل يده إلى أخته، فقالت له: من هذا المتهجم على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
قال: انا أقرب الناس إليك، وابغضهم لك، انا أخوك محمد بعثني إليك أمير المؤمنين، يقول لك، هل أصابك شئ من السلاح؟

---

(١) قال الشيخ المفيد رحمه الله: ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم على الهلاك، نادى أصحاب ميمنته ان يميلوا على ميسرة القوم، ونادى أصحاب ميسرته ان يميلوا على ميمنتهم، ووقف عليه السلام في القلب فما كان بأسرع من أن تضعضع القوم، وأخذت السيوف من هاماتهم مأخذها، فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة، وأصيب من أصحاب أمير المؤمنين نفر كثير، وأحاطت الأزد بالجمل يقدمهم كعب بن سور، وخطام الجمل بيده، واجتمع إليه من كان أنفل بالهزيمة ونادت عائشة:
يا بني الكرة الكرة! اصبروا فإني ضامنة لكم الجنة، فحفوا بها من كل جانب واستقدموا بردة كانت معها، وقلبت يمينها على منكبها الأيمن إلى الأيسر، والأيسر إلى الأيمن، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع عند الاستسقاء، ثم قالت: ناولوني كفا من تراب، فناولوها، فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: شاهت الوجوه! كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر، قال: وجر كعب بن سور بالخطام، وقال: اللهم إن تحقن الدماء وتطفي هذه الفتنة فاقتل عليا، ولما فعلت عائشة ما فعلت من قلب البرد وحصب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالتراب، قال عليه السلام؟
(ما رميت إذ رميت يا عائشة ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك إن شاء الله).
انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٢٨، الفتوح م ١: ٤٨٤.

قالت: ما أصابني إلا سهم لم يضرني (١).
ثم جاء إليها أمير المؤمنين عليه السلام بذاته، حتى وقف عليها، وضرب الهودج بالقضيب، وقال:
(يا حميراء! هل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا الخروج علي؟ ألم يأمرك أن تقري في بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك من بيتك، إذ صانوا حلائلهم وأبرزوك!!)
ثم إنه عليه السلام أمر أخاها محمدا أن ينزلها في دار آمنة بنت الحارث [ابن طلحة الطلحات]، فرفع الهودج وجعل يضرب الجمل بسيفه.
(أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بإعادة عائشة إلى المدينة)
قال المسعودي (٢): ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام بعث عبد الله بن العباس إلى عائشة يأمرها بالذهاب إلى المدينة المنورة، فدخل عليها بغير إذنها، فاجتذب وسادة وجلس عليها.
فقالت له: يا ابن عباس، لقد أخطأت السنة المأمور بها بدخولك

---

(١) روى بن أبي سبرة عن علقمة، عن أمه، قال: سمعت عائشة تقول: لقد رأيتني يوم الجمل وأنه على هودجي الدروع الحديدية، والنبل يخلص إلي منها وأنا في الهودج، فهون ذلك علي ما صنعنا بعثمان، ألبنا عليه حتى قتلناه، وجرينا عليه الغواة، فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين.
انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٨١.
(٢) مروج الذهب م ٢: ٣٧٦.

علينا بغير إذن منا، وجلوسك على رحلنا بغير إذننا (١)!
فقال: نعم، لو كنت في البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلت (٢) عليك إلا بإذنك، ولا جلست (٣) على رحلك إلا بأمرك، بعثني أمير المؤمنين عليه السلام إليك يأمرك بسرعة الأوبة، والتأهب للذهاب إلى المدينة.
قالت: أبيت عما قلت، وخالفت أمر من وصفت (٤)، فمضى إليه وأخبره بامتناعها، [فبعثه عليه السلام إليها ثانية] (٥)، وقال: إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي (٦)
فأنعمت بالإجابة للأمر فجهزها عليه السلام، وأتاها في اليوم الثاني، ومعه بنوه الحسن والحسين وأولاده جميعا وإخوته وبنو هاشم (٧)، فدخلوا عليها فلما [أبصرته صاحت مع من عندها من النسوة] (٨) في وجهه عليه السلام، يا قاتل الأحبة!
فقال عليه السلام: (لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت).

---

(١) في مروج الذهب: وجلست على رحلنا بغير أمرنا.
(٢) في مروج الذهب: دخلنا.
(٣) في مروج الذهب: جلسنا.
(٤) في مروج الذهب: وخالفت ما من وصفت.
(٥) في مروج الذهب: فرده إليها.
(٦) في مروج الذهب: وقال: قل لها: إن أبيت عما قلت لك، ما تعلمين.
(٧) في مروج الذهب: وغيرهم وشيعته من همدان.
(٨) وفيه أيضا: أبصرت به النسوان صحن.

وهو يشير إلى أحد تلك البيوت، قد اختلى فيه مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عامر، [وجماعة من بني أمية] (١)، فضرب كل من كان معه على قائم سيفه، لما علموا منه عليه السلام، مخافة من خروجهم عليهم فيغتالونهم.

فقالت عائشة [بعد كلام بينهما] (٢): قد صار ما صار، فأحب الآن أن أقيم معك لعلي أسير لقتال عدوك.

فقال: " بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير، فأمنه، وتكلم الحسن والحسين عليهما السلام في مروان، فأمنه (٣).

فقالت: والله، إني قد ازددت يا ابن أبي طالب كربا، ووددت أني.

---

(١) سقطت من مروج الذهب.

(٢) في مروج الذهب: بعد خطب طويل كان بينهما.

(٣) في مروج الذهب م ٢: ٣٧٨ وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية، وأمن الناس جميعا، وقد كان نادى يوم الوقعة، من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن.

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف في القتلى، فوجدت ابنين لها قد قتلا، وقد كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجئ علي البصرة، فأنشأت تقول:

شهدت الحروب فشيبتني * فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة * وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها * وليتك عسكر لم ترحل

مروج الذهب م ٢: ٣٧٨.

لم أخرج هذا المخرج، ولقد علمت بما قد أصابني فيه.
وقال له مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين، إني أحب أن أبايعك، وأكون في خدمتك!
فقال عليه السلام: (أولم تبايعني، بعد أن قتل عثمان، ثم نكثت، فلا حاجة لي ببيعتك، إنها كف يهودية.
لو بايعني بيده لغدر بأسته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو ابن الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه، ومن ولده يوما أحمر).
قال المسعودي: ولما توجهت عائشة رضي الله عنه إلى المدينة، بعث أمير المؤمنين عليه السلام معها أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر (١)، وثلاثين رجلا، وعشرين امرأة من ذوات الدين من آل عبد قيس وهمدان، ولزم عليهم بخدمتها (٢)، فلما وصلت المدينة، قيل لها: كيف رأيت مسيرك وما صنع معك علي عليه السلام؟
قالت: والله، لقد كنت بخير، ولقد أجاد ابن أبي طالب وأكثر بالعطاء (٣)، [ولكنه بعث معي رجالا أنكرتهم، فعرفها النسوة أمرهن،

---

(١) مروج الذهب م ٢: ٣٧٩.
(٢) في مروج الذهب: ألبسهن العمائم وقلدهن السيوف، وقال لهن: لا تعلمن عائشة أنكن نسوة وتلثمن كأنكن رجال.
(٣) في مستدرك إحقاق الحق وبالاسناد عن العوام بن حوشب قال: حدثني ابن عم لي من بني الحارث بن تيم الله يقال له مجمع قال: دخلت مع أمي على عائشة.

فسجدت وقالت: ما ازددت والله يا بن أبي طالب إلا كرما، ووددت أني لم أخرج، وإن أصابتني كيت وكيت من أمور ذكرتها] (١).
قال [المصنف رحمه الله]، ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لما أظفره الله تعالى على أصحاب الجمل، بعد أن حمد الله عز وجل وأثنى عليه، صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أما بعد، أيها الناس:
إن الله عز وجل، ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، وعفو جم، وعقاب أليم، قضى أن رحمته وسعت كل شئ، ومغفرته لأهل طاعته من خلقه، وبرحمته اهتدى المهتدون، وقضى أن نقمته وسطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه، وبعد الهدى والبينات ما ضل الضالون، فما ظنكم يا أهل البصرة وقد نكثتم بيعتي، وظاهرتم على عدوي (٢). (وقمت بالحجة وأقلت العثرة، والزلة من أهل الردة،

فسألتها أمي قالت: كيف رأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنه كان قدرا من الله تعالى. فسألتها عن علي قالت: سألتني عن أحب الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد رأيت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفوعا عليهم ثم قال: هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.
انظر: إحقاق الحق ٢: ٥٤٦.

(١) نص ما ذكره المسعودي في مروج الذهب وقد سقط من النسخة.

(٢) الإرشاد ١: ٢٥٧، بحار الأنوار ٣٢: ٢٣٠، (خطبة الإمام عليه السلام المحصورة بين الأقواس كما جاء في الإرشاد وبحار الأنوار).
أما ما زاده المصنف وقد حصرناه أيضا بين قوسين فهو ما ورد في كتاب الإمام علي عليه السلام إلى أهل الكوفة عندما تحقق النصر على أصحاب الجمل وفتح البصرة، وربما وقع المصنف في وهم، فنبهنا عنه).

فاستتبت من نكث فيهم بيعتي، فلم يرجع عما أصر عليه، فقتل الله تعالى من قتل منهم الناكث، وولى الدبر إلى مصيرهم بشقائهم، فكانت المرأة عليها أشأم من ناقة الحجر، فخذلوا وأدبروا دبرا، فقطعت بهم الأسباب فلما حل بهم ما قدروا سألوني العفو، فقبلت منهم القول وغمدت عنهم السيف، وأجريت الحق والسنة بينهم، واستعملت عبد الله بن العباس عليهم) (١).

فقام إليه رجل منهم، وقال: نظن خيرا، ونراك قد ظفرت وقدرت، فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك، وإن عفوت [فأنت محل العفو، والعفو أحب إلى الله عز وجل، وإلينا] (٢).

فقال عليه السلام: (قد عفوت عنكم، فإياكم والفتنة فإنها أشد من القتل، فإنكم أول الرعية لنكث البيعة، وشق عصا هذه الأمة) (٣).

---

(١) لم تردك تكملة الخطبة في الإرشاد أو في بحار الأنوار.

(٢) في الإرشاد: وإن عفوت فالعفو أحب إلى الله.

(٣) قال الواقدي: ولما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل الجمل جاءه قوم من فتيان قريش يسألونه الأمان وأن يقبل منهم البيعة، فاستشفعوا إليه بعبد الله بن عباس، فشفعه وأمرهم في الدخول عليه، فلما مثلوا بين يديه قال لهم: (ويلكم يا معشر قريش علام تقاتلونني! على أن حكمت فيكم بغير عدل! أو قسمت بينكم بغير سوية ! أو استأثرت عليكم! أو تبعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لقلة بلاء في الإسلام!). فقالوا: يا أمير المؤمنين نحن إخوة يوسف عليه السلام فاعف عنا، واستغفر لنا، فنظر إلى أحدهم فقال له: (من أنت؟). قال: أنا مساحق بن مخرمة معترف بالزلة، مقر بالخطيئة، تائب من ذنبي. فقال عليه السلام: (قد صفحت عنكم). وتقدم إليه مروان بن

ثم جلس، فأتاه الناس وبايعوه.

من كلامه عليه السلام حين قتل طلحة وانفض أهل البصرة

ومن كلامه عليه السلام، لما طاف على القتلى يوم الجمل، قال الشيخ المفيد رحمه الله في إرشاده (١):

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (بنا [تسنمتم] (٢) الشرف، وبنا [انفجرتم] (٣) عن السرار، وبنا اهتديتم في الظلماء، [وقر] (٤) سمع لم يفقه الواعية للنبأة كيف يراع من أصمته الصيحة، ربط جنان لم يفارقه الخفقان، ما زلت أتوقع بكم عواقب الغدر، وأتوسمكم بحيلة المغترين، سترني عنكم جلباب الدين، وبصرنيكم صدق النية، أقمت لكم الحق حيث تعرفون، ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون (٥) اليوم،

الحكم وهو متكئ على رجل، فقال عليه السلام: (أبك جراحة؟). قال: نعم يا أمير المؤمنين وما أراني لما بي إلا ميتا! فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: (لا والله ما أنت لما بك ميت، وستلقى هذه الأمة منك ومن ولدك يوما أحمر).

انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٤١٣.

(١) الإرشاد ١: ٢٥٣، بحار الأنوار ٣٢: ٢٣٦ ح ١٩٠.

(٢) في النسخة: اكتسبتم، والصواب كما جاء في الإرشاد.

(٣) في النسخة: افتخرتم من السراء.

(٤) في النسخة: وقرع.

(٥) أماه الحافر يميه: إذا أنبط الماء ووصل إليه عند حفره البئر.

انظر: الصحاح - موه - ٦: ٢٢٥.

نطق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرء تخلف عني، ما شككت في الحق منذ أريته] (٦)، كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا أباهم، وباعوا أخاهم، وبعد الإقرار كانت توبتهم، وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم).

من كلامه عليه السلام عندما طاف بالقتلى (٢)

(هذه قريش، جدعت أنفي، وشفيت نفسي، لقد تقدمت إليكم (٣) أحذركم عض السيوف، فكنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، [فناشدتكم العهد والميثاق، فتماديتم في الغي والطغيان، وأبيتم إلا القتال، فناهضتكم بالجهاد] (٤).

ولكنه الحين (٥) وسوء المصرع، فأعوذ بالله من سوء المصرع).

فمر عليه السلام [بمعبد بن المقداد] (٦)، فقال عليه السلام:

(رحم الله أبا هذا، أما إنه لو كان حيا لكان رأيه أحسن من رأي هذا).

---

(١) في النسخة: رأيته.

(٢) انظر: الإرشاد ١: ٢٥٤ - ٢٥٦، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٧ ح ١٦٣. مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤.

(٣) سقطت من النسخة الخطية وأثبتناها من الإرشاد.

(٤) سقطت من الإرشاد.

(٥) الحين: الهلاك.

(٦) في الأصل: سعيد، وصوابه كما في الإرشاد.

فقال عمار بن ياسر: الحمد لله الذي [رفعك] (١) يا أمير المؤمنين (٢)، وجعل خده الأسفل، إنا والله يا أمير المؤمنين [ما نبالي من عند عن الحق من ولد ووالد. فقال أمير المؤمنين] (٣): (رحمك الله وجزاك عن الحق خيرا).

ثم إنه عليه السلام مر بعبد الله بن ربيعة بن دراج، فقال عليه السلام: (هذا البائس ما كان أخرجه؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان؟! والله ما كان رأى عثمان فيه ولا في [أبيه] (٤) لحسن).

ثم إنه عليه السلام مر بمعبد بن زهير بن أبي أمية (٥)، فقال عليه السلام: (لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نحيزة (٦)، ولقد أخبرني من أدركه إنه ليولول فرقا من السيف).

ثم مر عليه السلام بمسلمة بن قرظة، فقال عليه السلام: (البر أخرج هذا! والله لقد كلمني أن أكلم له عثمان في شئ كان يدعيه قبله بمكة، [فأعطاه

---

(١) في الإرشاد: أوقعه.

(٢) سقط من الإرشاد.

(٣) سقطت من النسخة وأثبتناها من الإرشاد.

(٤) في النسخة: ابنه.

(٥) في الأصل (أمية)، والصواب هو: معبد بن زهير بن أبي أمية بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي ابن أخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.
انظر: أسد الغابة ٤: ٣٩١، الإصابة ٣: ٤٧٩ / ٤٣٢٧.

(٦) النحيزة: الطبيعة. الصحاح - نحز - ٣: ٨٩٨.

إياه] (١)، ثم قال [لي] (٢) لولا أنت ما أعطيته [إياه] (٣)، إن هذا [ما علمت] (٤) بئس أخو العشيرة، ثم جاء المشوم للحين (٧)، [ناصرا يطالب دم عثمان]) (٦).

ثم مر عليه السلام بعبد الله بن حميد بن زهير، فقال عليه السلام: (إن هذا أيضا ممن أوضع في قتالنا، [ثم إنه يزعم إنه يطلب رضاء الله بذلك] (٧)، ولقد كتب إلي كتابا يؤذي عثمان فيه، فأعطاه شيئا فرضي عنه).

ثم مر عليه السلام بعبد الله بن حكيم بن حزام، فقال عليه السلام: (إن هذا قد خالف أباه في الخروج، وأبوه حيث لم ينصرنا وقد أحسن في بيعته لنا، وإن كان قد كف وجلس حيث شك في القتال، وما ألوم اليوم من كف عنا وعن غيرنا، ولكن [اللوم على] (٨) الذي قاتلنا).

ثم مر عليه السلام بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس بن [شريق] (٩)،

---

(١) في الإرشاد: فأعطاه عثمان.
(٢) سقطت من الإرشاد.
(٣) سقطت من الإرشاد.
(٤) في النسخة الخطية: أما علمت أن هذا، والصواب كما أثبت من الإرشاد.
(٥) في النسخة الخطية: لحينه.
(٦) في الإرشاد: ينصر عثمان.
(٧) في الإرشاد: زعم يطلب الله بذلك.
(٨) في الإرشاد: المليم.
(٩) سقطت من الإرشاد.

فقال عليه السلام: (وأما هذا [فقتل أبوه] (١) يوم قتل عثمان [في الدار] (٢) خرج مغضبا لقتل أبيه، وهو غلام حدث [حين قتله] (٣).
ثم مر عليه السلام [بعبد الله بن عثمان] (٤) بن الأخنس بن شريق، فقال عليه السلا م: (وأما هذا فكأني أنظر إليه، وقد أخذ القوم السيوف هاربا يغدو من الصف، [فنهنهت] (٥) عنه فلم يسمع من [نهنهت] (٦)، حتى قتل، وكان هذا مما خفي على فتيان قريش، أغمار لا علم لهم بالحرب، خدعوا [واستزلوا] (٧)، فلما وقفوا [وقعوا] (٨) فقتلوا). ثم مر عليه السلام [بكعب بن سور] (٩)، فقال عليه السلام: (وأما هذا الذي خرج علينا، وفي عنقه المصحف، يزعم أنه ناصر [أمه] (١٠)، يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم بما فيه، ثم استفتح [وخاب كل] (١١) جبار عنيد، أما

---

(١) سقطت من المخطوطة وأثبتناها من الإرشاد.
(٢) سقطت أيضا وأثبتناها من الإرشاد.
(٣) في النسخة: حين قتل، والصواب كما في الإرشاد.
(٤) في النسخة الأصلية: عبد الله بن أبي عثمان، وهذا تصحيف ربما من الناسخ وأثبتت الصواب من الإرشاد.
(٥) في النسخة الأصلية: فنهيت.
(٦) في النسخة كلمة مبهمة ويحتمل من تصحيفات الناسخ.
(٧) في النسخة: يستنبزوا.
(٨) في النسخة الكلمة غير واضحة وأثبتناها من الإرشاد.
(٩) في النسخة: كعب بن ثور، وهو تصحيف والصواب كما في الإرشاد.
(١٠) سقطت من النسخة وأثبتت من الإرشاد.
(١١) في النسخة [وجاء معه] وهو تصحيف والصواب كما في الإرشاد.

إنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله تعالى).
أجلسوا [كعب بن سور] (١) فأجلس، فقال له عليه السلام: (يا كعب، قد وجدت ما وعدني ربي حقا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقا؟).
ثم قال عليه السلام: (أضجعوه).
ثم مر عليه السلام بطلحة بن عبيد الله (٢)، فقال عليه السلام: (وأما هذا فهو الناكث لبيعتي، والمنشئ الفتنة في الأمة، والمجلب علي، والداعي إلى قتلي وقتل عترتي).
اجلسوا [طلحة بن عبيد الله] (٣) فأجلس، ثم قال عليه السلام له: (يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربي حقا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقا؟!) ثم قال عليه السلام: (أضجعوه)، فأضجع.
وسار عليه السلام، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، رأيتك تكلم كعبا وطلحة بعد أن قتلا، فهل يفقهان ما قلت لهما؟!
فقال عليه السلام: ([أم] (٤) والله، إنهما لقد سمعا كلامي، كما سمع أهل

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهو ابن عم أبي بكر الصديق، ويكنى أبا محمد، وأمه الصعبة، وكانت تحت أبي سفيان بن حرب، وقتل وهو ابن أربع وستين، وقيل غير ذلك، ودفن بالبصرة، وقبره فيها إلى هذه الغالية، وقبر الزبير بوادي السباع.
انظر: مروج الذهب م ٢: ٣٧٤.
(٣) سقطت من الأصل.
(٤) في النسخة: أيم.

القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر) (١).
قال المسعودي: ولما أن من الله تعالى عليه بما هو أهله من الظفر على أصحاب الجمل، دخل عليه بجماعة من أصحابه إلى بيت مال المسلمين بالبصرة، فنظر إلى ما فيه من العين والورق، فأدام النظر إليه، فجعل يقول: (يا صفراء ويا بيضاء، غري غيري) (٢).
ثم قال عليه السلام: (أقسموه بين أصحابي، خمسمائة خمسمائة)،

---

(١) عن محمد بن الحنفية رحمه الله، قال: فوالله لقد رأيت أول قتيل من القوم كعب بن سور بعد أن قطعت يمينه التي كان الخطام بها، فأخذه بشماله وقتل بعد ذلك، وقتل معه أخوه وابناه. ثم أخذ خطام الجمل بعده رجل منهم وهو يقول:
يا أمنا عائش لا تراعي * كل بنيك بطل شجاع
فما برح حتى قطعت يداه وطعن فهلك، فقام مقامه آخر منهم فقطعت يمينه وضرب على رأسه فهلك، فما زال كل من أخذ بخطام الجمل قطعت يداه أو جذ ساقه حتى هلك منهم ثمانمائة رجل، وقبل ذلك قتل حول الجمل سبعون رجلا من قريش.
مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٣٤٩، تاريخ الطبري ٤: ٥١٨.
(٢) قال الشيخ المفيد (رضي الله تعالى عنه): ورجع طلحة والزبير، ونزلا دار الإمارة، وغلبا على بيت المال، فتقدمت عائشة وحملت مالا منه لتفرقه على أنصارها فدخل عليها طلحة والزبير في طائفة معهما واحتملا منه شيئا كثيرا، فلما خرجا جعلا على أبوابه الأقفال، ووكلا به من قبلهما قوما، فأمرت عائشة بختمه، فبرز لذلك طلحة يختمه فمنعه الزبير، وأراد أن يختمه الزبير دونه فتدافعا! فبلغ عائشة ذلك فقالت: يختمها عني ابن أختي عبد الله بن الزبير، فختم يومئذ بثلاثة ختوم.
وقال أيضا: ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة، وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال، فتأملا إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها، وأخبرنا أنه يجعلها لنا!! انظر: مصنفات الشيخ المفيد م ١: ٢٨٤، ٢٨٥.

فقسموه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة، فلم يزد درهما ولا نقص درهما!
فكان عدد أصحابه اثني عشر ألفا، وقبض عليه السلام على ما أصابه في معسكرهم، فباعه وقسمه أيضا عليهم، ولم يزد لنفسه ولا لأولاده وأهل بيته عن أصحابه بشئ أبدا.
ثم أتاه رجل من أصحابه لم يكن حاضر القسمة، فقال: يا أمير المؤمنين، إني لم آخذ شيئا لعدم حضوري عند القسمة، فالسبب الموجب لغيابي عنها هو كيت وكيت، فأعطاه ما أصابه من القسمة (١).
ومن كلامه عليه السلام حين قدم الكوفة من البصرة
ثم توجه عليه السلام إلى الكوفة. قال [المسعودي]: فقال حين قدومه إليها، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم:
(أما بعد، فالحمد لله الذي نصر وليه، وخذل عدوه، وأعز الصادق المحق، وأذل الكاذب المبطل.
أيها الناس عليكم (٢) بتقوى الله حق تقاته، وإطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم، الذين هم أولى بطاعتكم من المنتحلين المدعين القائلين إلينا، يتفضلون بفضلنا، ويجاحدونا في أمرنا، وينازعونا حقنا

---

(١) مروج الذهب م ٢: ٣٨٠.
(٢) في الإرشاد: يا أهل هذا المصر.

ويدفعونا عنه، وقد ذاقوا وبال ما اجترحوا، فسوف يلقون غيا، وقد قعد عن نصرتي منكم رجال، وأنا عليهم عاتب زار، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبونا ونرى ما نحب) (١).

* * *

---

(١) الإرشاد ١: ٢٥٩، أمالي المفيد: ١٢٧، بحار الأنوار ٣٢: ٣٥١ ح ٣٣٤.